اهداءات ٢٠٠٢

أسرة د/ عبد الرحمن بدوي

جمعية د /عبد الرحمن بدوي الإبداع الثقافي

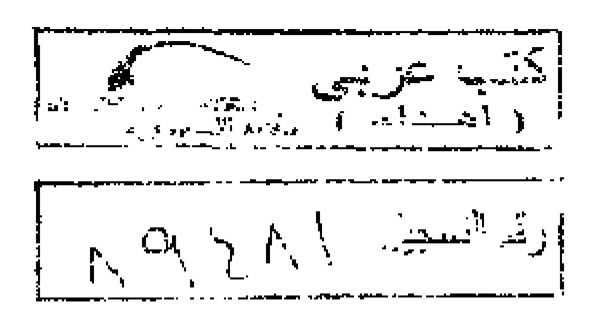
القاهرة

الألف كتاب

دنيا المصالح

مسرحية اسبانية في فصلين

(٨٤)



باشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم بمصر

الألف كتاب (٨٤)

دُنيا المصابيح

مسرحية أسبانية في فصلين

تأليف

خسنتو بنفنتي

ترجمة

الدكتور لطفي عبد البديع

مراجعة

الدكتور حسين مؤنس

نشرته

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

هذه ترجمة لمسرحية :

Los Intereses Creados

للمسرحي الأسباني :

Jacinto Benavente

خَسِنْتُو بِنَفِنْتِي



المؤلف

مقدمة

خَسِنْتو بِنَفِنْتِي علم من أعلام المسرح الأوربي المعاصر ، يذكر مع شو وبرندلّو وكيسر وغيرهم من كتاب المسرح العالميين . ولد في مدريد سنة ١٨٦٦ ، ودرس القانون ثم انصرف إلى الأدب ، فلم يكد يبلغ الثانية والثلاثين حتى كان شخصية مرموقة في الحياة الأدبية بمدريد ، فأنشأ مجلة « لافيدا ليترياريا » ، وكان واحداً من عصبة الأدباء الأسبان الذين يطلق عليهم « جيل ٩٨ » ، وهم دعائم الأدب الأسباني المعاصر .

ظهر بنفنتي على المسرح الأسباني في فترة حرجة من تاريخه ، إذ كان الجمهور قد مل مسرحيات تشيجاري وأتباعه ، فأقبل بتصور جديد للكوميديا ، يقوم على تجسيم السيكلوجية ، وتقصي الأهواء البشرية ، مع الجرأة في التفكير والدقة في العبارة . . هذا إلى خصوبة لايكاد يدانيه فيها كاتب مسرحي معاصر ، كأنه ورث هذه الطاقة الخالقة عن أسلافه من المسرحيين الأسبان : كلوب دي فيجا وترسو دي مولينا وكالدرون دي لاباركا .

وقد ظفر بجائزة نوبل في الآداب سنة ١٩٢٢ فذاع صيته ، وظل إلى آخر أيامه يغمر المسارح في أسبانيا وأوربا وأمريكا بمسرحياته ، وقد رأيته في شتاء سنة ١٩٥٣ قبل وفاته بعام واحد ،

وقد خرج على الجماهير يتلقى تحيتها بعد عرض مسرحيته « الأبناء هم آباء الآباء » .

ومسرحه عالم مختلف الألوان ، متعدد الصور ، يسخر فى مسرحياته من حماقات البشر ونزواتهم ، وشخصياته تكاد أحيانا تقترب من الرموز ، وتكثر فى حواره الملامح النفسية والملاحظات العميقة ؛ يبحث فى فنه عن الخير ، ولا يثق كثيرا فى قوة الإرادة ، لأنه يرى أن كل ما فى حياة الإنسان مقدور منذ ولادته إلى مماته .

ومسرحياته كثيرة ، ومن أشهرها وأروعها مسرحيـــة "Los intereses creados" التى ننقلها اليوم إلى العربية . وقد ألفها سنة ١٩٠٩ ، مدارها ما يذهب إليه فى نهـايتها من أن خير وسيلة لاكتساب ولاء الناس وحبهم ، أن يخلق المرء مصالح فيها منفعة لهم ، وهى كوميديا فى فصلين ، تصور فنه أصدق تصوير ، ولهذا اخترناها لتكون بين يدى القارئ العربى ؟

القاهرة فى يونية ١٩٥٦ — لطفى عبد البديع

أشخاص المسرحية

دنيا سِرِيڤا

سلفيا

سنيورا دى پُلتشِنيلا

كُلُمبينا

تُوْرا

رِميلا

لِيَندرو

كرسبين

المحقق

پُلتشِنيلا

أَرْلِكين

الكابتن

پَنتَلون

صاحب الخان

الكاتب

خادمان فى الخان

حاجبان

(تجرى الحوادث فى بلاد متخيَّلة فى مطلع القرن السابع عشر) .

الفصل الأول

مقـــدمة

يرتفع أول الأمر ستار قصير ، به باب يفضى إلى داخل المسرح وفيه بساط ، ثم يقول كرسبين أحد أشخاص المسرحية ما يلى :

هاكم سر المهزلة القديمة التى خففت من عناء المكدودين فى الضياع الساكنة ، وجمعت السذج من القرويين فى الأماكن المتواضعة ، وحشدت أناساً من شتى الطوائف فى المدن الآهلة بالسكان ، مثلما كان يحدث فى باريس على الجسر الجديد ، حيث كان تبَران يلفت إليه أنظار المارة جميعا وهو فى منصة مهرجانه ، سواء منهم العالم الشامخ بأنفه يوقف مطيته العاملة قليلا ليستمع إلى دعابة من دعابات المهزلة المرحة ، فتنبسط لها أسارير جبهته المثقلة دائماً بالخطير من الأفكار ، أو النمرود المتشيطن يقضى هنالك الساعات تلو الساعات ، وهو يخدع الجوع بالضحك ؛ وسواء منهم المطران ، أو السيدة الرفيعة القدر ، أو السيد العظيم ، ينظر كل منهم من مركبته ، أو الحدث المرح ، والجندى ، والتاجر ، وطالب العلم . . أناس من شتى الطبقات لا يجتمعون فى مكان آخر ؛ هنالك يتناقلون المرح والفرح ، وقد لا يكون ضحكهم من أجل التهريج ذاته بقدر ما يضحك كل منهم لرؤية الآخر ضاحكا ؛ فالعابس يضحك لضحك الباسم ، والعالم لضحك الفارغ ، والمساكين يضحكون

لضحك السادة الأجلاء الذين يبدون غالبا عابسين : ويضحك العظماء لضحك الفقراء وقد سكنت نفوسهم حين تحدثهم خواطرهم بأن الفقراء أيضا يضحكون ! فلا شيء كالضحك أسرع تنقلا وسريانا من نفوس إلى أخرى . وربما صعدت المهزلة قصور الأمراء والسادة أولى الرفعة لتسرى عن أصحابها ، وليست هنالك بأقل حرية وأكثر طلاقة ، فهى من الكل وللكل : من الشعب أخذت السخرية واللاذع من القول ، والحكم والأمثال ، من تلك الفلسفة الصادرة عن الشعب المعذب ، وقد خفف من مرارتها استسلام المستضعفين فى ذلك الحين ، لا يرجون من هذا العالم كل ما يرغبون فيه ، ولهذا عرفوا كيف يضحكون من هذا العالم دون حقد ودون مرارة .

ولقد أحسن تصوير الأصل الشعبي لهذه المهزلة فى إطار رفيع : لُب دى رُويدا وشكسبير ومولبير ، وهم أمراء مولعون بالقصص والأحاديث ، فسموا بها إلى عرش الشعر والفن ، ولكن مثل هذا النسب الرفيع لا تباهى به هذه المهزلة التى يتقدم بها إليكم شاعر من شعراء العصر ، دفعه إلى وضعها حب الاستطلاع فى نفسه الحية . وهى مهزلة من قبيل مهازل الأراجوز ، فى موضوعها تشويش ، لا صلة لها بالواقع ، وسترون أن ما يحدث فيها لم يحدث قط ، وأن أشخاصها ليسوا من النساء والرجال ولا يشبهونهم ، وإنما هم دمى أو لعب من كرتون وخرق ، تربطها خيوط غليظة

ترى فى أضعف الأضواء ، ويبصرها أقصر الناس نظرا ، فهى من قبيل تلك المساخر المضحكة فى الكوميديا الإيطالية ، ولكنها لم تعد مرحة كما كانت من قبل ، لأنها أكثرت من التأمل والتفكير منذ ذلك الزمن البعيد .

والمؤلف يعلم أن هذا المنظر الساذج ليس مما يليق بالمتفرجين المثقفين من أبناء هذا العصر ، ولذلك فهو يلوذ بثقافتكم بقدر ما يلوذ بسعة صدركم ؛ وكل ما يرجوه أن تلبس نفوسكم ثوب الطفولة بقدر المستطاع ، فلقد شاخ العالم وصار يهذى ؛ ولكن الفن لا يستسلم للشيخوخة ، وإنما يتكلم كما يتكلم الطفل ليبدو فى صورته . وها هم الممثلون الهزليون من الطاعنين فى السن ، يأتون اليوم ليسروا عنكم بحركاتهم الصبيانية .

(صمت)

المنظر الأول

ميدان فى مدينة . بجانبه الأيمن واجهة خان على بابه ضبة ، كتب فى أعلاه « خان » .

المشهد الأول

(ليندرو وكرسبين يخرجان من الباب الثانى على اليسار) .

ليندرو : لابد أن هذه المدينة عظيمة يا كرسبين ، كل ما فيها يدل على فخامتها وغناها .

كرسبين : إنهما مدينتان . لعل الله قد أراد بنا خيراً إذ نزلنا هاهنا !

ليندرو : أتقول إنهما مدينتان يا كرسبين ؟ لقد أدركت ما تريد . تعنى مدينة قديمة وأخرى جديدة كل واحدة منهما على ضفة من ضفتى النهر .

كرسبين : وماذا يهم النهر أو القدم أو الجدة ؟ أقول مدينتان كما فى كل مدينة من مدن العالم : إحداهما لمن ينزلها ومعه مال ، والأخرى لمن يدخلها كما ندخلها نحن .

ليندرو : حسبنا أننا وصلنا ها هنا دون أن تعترض سبيلنا العدالة ، وليس أحب إلى من أن أبقى هنا قليلا فقد أعيانى طوافى بشتى البلاد .

كرسبين : أما أنا فلا ، فمن صفات أبناء علكة الصعلكة الحرة ، كما هو شأنى ، أن لا يقيموا فى مكان واحد إلا إذا كان ذلك على الرغم منهم ، بأن يكونوا قد نزلوا السجن وهو منزل ما أقساه . لقد سقطنا على هذه المدينة ، وبين يدينا معقل حصين نكتشفه ، فلنحسن وضع الخطة كما يفعل المسددون من القواد ، إن شئنا أن نفتح المعقل ونظفر به .

ليندرو : جئنا ونحن جيش قليل العدة .

كرسبين : ولكنا رجال ، وسنلتقى برجال .

ليندرو : إننا نعتز بأنفسنا ، ولكنك لم تشأ أن تنزع عنا هذه الثياب ، ولو بعناها بثمن بخس لظفرنا بشيء من المال .

كرسبين : لأن أنزع جلدي خير لي من أن أنزع ثوباً حسناً ، فلا شيء أجل قيمة من المظهر في نظر الناس ، والثوب أول ما يبدو للعين .

ليندرو : وماذا نفعل يا كرسبين وقد عضني الجوع وقتلني الإعياء والجهد ؟

كرسبين : ما علينا في هذا المقام إلا أن نتوسل بالعبقرية والصفاقة ، وبدونها لا تغني العبقرية شيئاً : إن الذي استقر رأيي عليه هو أن تتكلم قليلا ، وتتغلظ في القول لتلقي في روع سامعك أنك إنسان عظيم ، وسآذن لك أن تضرب بيدك على صدري من حين لآخر ؛ وإذا سئلت فلتلغز في الجواب ، وإذا أخذت في الحديث فليكن في حديثك جلال كما لو كنت ترسل الحكم والأمثال . إنك شاب رائق المنظر ، وكل ما فعلته حتى الساعة أنك أسأت استغلال مواهبك ، وآن لك أن تستفيدمنها ؛ اعتمد علي ، فليس أصلح للمرء من أن يكون معه إنسان يدل على مواهبه وينوه بفضائله ؛ وتواضع المرء حمق ، والفخر بالنفس جنون ، وكلا الأمرين كفيل بأن يذهب بقيمته بين الناس ؛ ونحن

البشر كالبضاعة ، قيمتنا تزيد وتنقص بقدر براعة التاجر الذى يعرضنا ، ولذلك أؤكد لك أنك لو كنت زجاجا لاستطعت أن أجعل منك ما يتوهم الناس معه أنك ماس ؛ ولنمض إذاً إلى هذا الخان ، فعلينا أن نستقر فى مكان نرى منه الميدان .

ليندور : تقول الخان ، وماذا ندفع ؟

كرسبين : إن كان الجبن سيستولى عليك بسبب هذا الأمر الهين ، فلنبحث لنا عن مستشفى أو ملجأ أو فلنسأل الناس صدقة . هذا إذا توخينا طريق الصلاح ، وإن اعتمدنا الشجاعة فلنعد من حيث أتينا ولنفتك بأول من يلقانا . أما إن أردنا أن نسلك السبيل الذى تمكننا منه وسائلنا ، فليس بين يدينا من سبيل إلا هذا .

ليندرو : ولكن معى رسائل توصية إلى أناس لهم شأن فى هذه المدينة ، ربما استطاعوا أن يقدموا لنا العون .

كرسبين : مزق هذه الرسائل ، ولا تفكر فى مثل هذه الوضاعة . أيليق بنا أن نتقدم إلى أحد كالمحتاجين ؟ ما أحسنها من أوراق اعتماد . اليوم يلقاك من وجهت إليهم هذه الرسائل بترحيب جم ، فيقولون لك إن بيوتهم بيتك وأشخاصهم شخصك ، حتى إذا طرقت أبوابهم مرة أخرى ، قال لك أحد الخدم سيدى ليس فى المنزل ، ولم

يخلق له فهو مشغول، فإذا عدت إلى زيارتهم بعد ذلك لم تفتح لك الأبواب؛ والعالم إنما يقوم على الأخذ والعطاء، وهو سوق للبيع والشراء، ومنزل متغير، وقبل أن تسأل عليك أن تعطى.

ليندرو : وماذا أعطى وليس معى شيء؟

كرسبين : أنت تبخس نفسك حقها. ماذا؟ رجل بذاته ألا يساوى شيئا؟ وربما كان هذا الرجل جنديا، بشجاعته يتأتى له النصر، وربما كان سيدا عظيما أو زوجا كريما، ولعله يبرئ بعقاره اللطيف سيدة ذات حسب أو آنسة ذات نسب تحس بالموت من أثر الحزن والهموم. وربما كان خادماً لعظيم من ذوى الجاه والسلطان يتعلق به فيرفعه إلى مرتبة خاصته.. هذا إلى أمور أخرى لا أستطيع أن أحصيها؛ وكل سلم يرقاه المرء حسن ما دام يمهد له سبيل الصعود.

ليندرو : وإن أعوزنى هذا السلم؟

كرسبين : أقدم لك ظهرى تصعد عليه، وسترى نفسك حينئذ فى مكان علىّ.

ليندرو : ولو سقطنا معاً على الأرض؟

كرسبين : ستحملنا ولن تكون بنا ثقيلة (يدق باب الخان بالضبة)

آه من هذا الخان ! إنى أنادى ! أصاحب خان أم شيطان ؟ لا يرد أحد . أى خان هذا ؟

ليندرو : ولم هذا الصياح وأنت لم تكد تنادى ؟

كرسبين : لأن من الوضاعة الانتظار على هذا النحو (يعود إلى دق الباب بشدة) آه من الناس ! آه من الخان ! آه من الشياطين أجمعين .

صاحب الخان : (فى الداخل) من هناك ؟ ما هذا الصياح وما هذا الأسلوب ؟ إنكم لم تنتظروا طويلا .

كرسبين : بل انتظرنا طويلا ، ولقد صدق من قال لنا إن هذه « الوكالة » حقيرة جدا لا تليق بذوى المكانة والجاه .

المشهد الثانى

صاحب الخان واثنان من الخدم يخرجون منه

صاحب الخان : (وهو خارج) رويدا رويدا فليست « وكالة » ، وإنما هو خان محترم أمه كثير من العظماء .

كرسبين : وددت لو رأيت هؤلاء الذين تصفهم بأنهم عظماء ، وليسوا فى الواقع إلا من الرعاع ، ومع ذلك فظاهر من أمر هذين الخادمين أنهما لا يقدران الناس حق قدرهم ، وهما بالمهرجين أشبه ، لا يعرفان شيئا من الخدمة .

صاحب الخان : والله إنك أحمق .

لينـدرو : إن خادمى هذا يبالغ فى كل شىء ، ولا بأس بالخان فهو حسبنا منزلا فى أثناء المدة الوجيزة التى سنقضيها فيه ؛ وكل ماتريده حجرة لى وأخرى للخادم ، ولنوفر على أنفسنا الكلام .

صاحب الخان : معذرة ياسيدى ؛ لوكنت تكلمت منذ أول الأمر ... فالسادة دائما فيهم أدب ليس فى الخدم .

كرسبين : الواقع أن سيدى هذا يقنع بكل شىء ، ولكنى أعلم مايناسبه ، ولا ينبغى أن أغض الطرف عما لا يليق به . لنمض إلى الغرفة .

صاحب الخان : أليس معكما متاع ؟

كرسبين : أتظن أن متاعنا من قبيل ما يحمله الجندى أو الطالب فى يده ؟ ألا تعلم أننا لو أحضرنا متاعنا لاستدعى الأمر ثمانى عربات تتبعنا ؟ وألا تعلم أن سيدى لن يلبث هنا إلا الوقت الضرورى ينجز فيه المهام السرية التى كلف بها ، وقدم من أجلها هذه المدينة ؟

لينـدرو : ألا تسكت ؟ كيف يظل السر طى الكتمان وأنت معى ؟ ألا تخشى أن يقف أحد على أمرى وأنت ترسل القول على عواهنه دون حيطة وحذر ... !
(يشد عليه ويضربه بالسيف) .

كرسبين : رفقا يا سيدى توشك أن تقتلنى ! (يعدو)

صاحب الخان : (يتدخل بين ليندرو وكرسبين) حسبك يا سيدى !

ليندرو : دعنى أعاقبه ، فليس أدعى إلى سخطى من التحدث فى غير حيطة .

صاحب الخان : لا تعاقبه يا سيدى !

ليندرو : دعنى دعنى فلن يتعلم قط ! (وفيا هو يمضى ليضرب كرسبين يختفى هذا وراء صاحب الخان الذى يتلقى الضربات)

كرسبين : (يصيح متوجعا) آى آى آى !

صاحب الخان : أنا أحق بأن أتوجع وأصيح آى ، فقد نلت من الضرب ما يكفى !

ليندرو : (يوجه الكلام إلى كرسبين) انظر ماذا فعلت . فهذا المسكين هو الذى وقع عليه الضرب ، اطلب منه أن يصفح عنك !

صاحب الخان : لا داعى لذلك فأنا أعفو عنه بنفس راضية (يتوجه إلى الخادمين بالحديث) ماذا تفعلان هنا ؟ اذهبا لتهيئة الغرف التى أعتاد أن ينزل فيها إمبراطور مانتوا ، وأعدا الطعام لهذا السيد .

كرسبين : دعنى أنبههما إلى ما ينبغى أن يفعلاه ، وإلا لتخبطا ووقعا فى الخطأ ، ثم أدفع أنا ثمنه بعد ذلك ، فسيدى كما ترى لا يغفر لأحد زلة . أنا معكما أيها الخادمان ، ولتعرفا

لهذا السيد حقه ، فني خدمته إما الشقاء وإما السعادة يأتيانكما من حيث لا تنتظران (يدخل الخادمان وكرسبين)

صاحب الخان : (يتحدث إلى ليندرو) ألا تتفضلون بذكر اسمكم ، ومن أين أتيتم ، ولماذا قدمتم هنا ؟

ليندرو : (ينظر إلى كرسبين وهو يخرج من الخان) سيذكر لك ذلك خادمى . . . وحذار أن تضايقنى بالأسئلة . . . (يدخل الخان) .

كرسبين : ويلك ! أتجرؤ على أن تسأل سيدى ؟ إذا كان يهمك أن يظل ولو ساعة من نهار فى هذا الخان ، فلا توجه إليه كلمة واحدة .

صاحب الخان : ولكنك تعلم أن هناك أوامر إدارية قاسية تقتضى هذا السؤال .

كرسبين : أتتحدث عن أوامر مع سيدى ! اسكت اسكت فأنت لا تدرى شيئا عن الذى تؤويه فى هذا الخان ، وإلا لو علمت لما نطقت بهذه الحماقات !

صاحب الخان : ولكن ألا أستطيع أن أعلم شيئا . . ؟

كرسبين : ويلك . . . اسكت وإلا دعوت سيدى يؤدبك ويقول لك ما ينبغى أن يقال ، ما دمت لا تفهم . حذار من أن يعوزه شىء ، واحرص على أن تخدمه بحواسك كلها ، وإلا ساءت عاقبتك . ألا تعرف كيف

تعز علية الناس ؟ ألم تر من هو سيدى ؟ هيا إلى
ما نحن فيه . (يدخل ويدفع صاحب الخان أمامه)

المشهد الثالث

أرلكين والكابتن يخرجان من الباب الثانى على الشمال

أرلكين : والآن وقد طوفنا فى الريف المحدق بهذه المدينة ،
أعتقد أن خير ما فعلناه أننا أصبحنا على عتبة الخان ؟
فالإنسان حيوان قوامه العادات ، ومن أشق هذه
العادات أنه يتغذى كل يوم !

الكابتن : لقد صرفتنى الموسيقى العذبة التى تترقرق فى أشعاركم
عن التفكير وعن الهموم ، وتلك حسنة من حسنات
الشعراء !

أرلكين : ولكنها مع ذلك لا تمنعهم من أن يفتقدوا كل شىء !
إنى أصل إلى الخان والخوف يملأ جوانحى ! أيرضى
الناس أن نهلك ؟ ولكن لن يعصمنا إلا سيفكم !

الكابتن : سيفى ! إن سيف المحارب وقيثارة الشاعر لا يغنيان
شيئا فى هذه المدينة ، مدينة التجار والسماسرة ! ليس
أدعى إلى الحزن من حالنا !

أرلكين : لقد قلت فأحسنت ، فرائع الشعر الذى لا يتغنى
إلا بكل جليل من الأمور ، نبيل لا يغنى شيئا ، ولم تعد

العبقرية تجدى فى تحريك نفوس الأقوياء بالمدح والهجاء ، ولا قيمة للمدائح والأهاجى ، لا الأولى تهز أعطافهم ولا الثانية تخيفهم ، ولو عاش أرتينو نفسه فى زماننا هذا لمات جوعا .

الكابتن : ونحن لم نزلت بنا الهزيمة فى الحروب الأخيرة ؟ إننا لم نهزم لأننا حاربنا أعداء أشداء بل هزمنا من جراء هؤلاء المهربين الحقراء الذين يحكموننا ، أرسلونا إلى الحرب لحماية مصالحهم دون أن تكون لدينا القوة والحماسة ، هزمنا لأنه لم يكن هناك من يقاتل عن إيمان ، أما هم فلم يكن بينهم محارب واحد ، ولم ينفقوا الأموال إلا فى منفعتهم وهم يعلمون أنهم يجنون منها أعظم الربح ، ولما أحسوا بأن ربحهم إلى زوال انطلقت منهم النذر بأنهم سيمدون أيديهم إلى العدو ، والآن ينحون علينا باللائمة ويبيشون إلينا ويزدروننا ، ثم هم يودون لو وفروا الراتب الحقير الذى يدفعونه لنا ، ولم يكن أحب إليهم من إقصائنا لولا أنهم يخشون يوما يتألب فيه عليهم المغلوبون على أمرهم ممن حلت بهم الشرور ومظاهر الطغيان ! ما أشقاهم يومئذ ، يوم يعرف وجه الحق والعدل !

آرلكين : لو جاء ذلك اليوم لوجدتمونى لكم نصيرا .

الكابتن : لا ينبغي لأحد أن يتكل على الشعراء ، فأنتم كالبلور يكتسب من كل ضوء لونا ، فاليوم تهتزون لما يولد وغداً لما يموت ، ولكنكم دائما تميلون إلى التعلق بالخراب والدمار لما طبعت عليه نفوسكم من حزن وكآبة ، وأنتم إلى ذلك قوم مولعون بالسهر ، تشهدون موت الشمس أكثر مما ترون طلوع الصباح ، وتعرفون الغروب أكثر مما تعرفون الشروق .

أرلكين : لا تقل هذا لمثلى فأنا كثيرا ما شهدت شروق الشمس إذ لم أجد مأوى أبيت فيه . ثم كيف تريد منى أن أتغنى بالصباح كما يتغنى البلبل الفرح الغريد وأنا لا أرى الصباح حين يطلع إلا كئيبا ؟ وبعد فهل لنا فى أن نطرق باب الخان ؟

الكابتن : ليس لدينا من سبيل إلا هذا ! فلنجلس ولننتظر ماذا يفعل صاحب الخان .

أرلكين : إيه من يفتح الباب ؟ (يدق باب الخان) .

المشهد الرابع

صاحب الخان والخادمان وليندرو وكرسبين يخرجون من الخان .

صاحب الخان : آه مرحى أيها السيدان ! أأنتما الطارقان ؟ إنى شديد الأسف فاليوم لن أضيف أحداً فى الخان .

الكابتن : ولماذا ؟ أيمكن معرفة السبب ؟

صاحب الخان : ظريف منك أن تسألني هذا السؤال ! أتظن أن هناك من يهبني ما أنفق في الخان من مال ؟

الكابتن : إذاً هذا هو السبب : ألسنا ممن يوثق بهم ؟

صاحب الخان : في رأيي أنا لا ، لا أرجو أن أنال منكما شيئاً وحسبي ما أنفقتماه من قبل ، أرجو بأن تتفضلا بألا تعودا إلى هذا الخان مرة أخرى .

أرلكين : أتظن أن المال هو كل شيء في هذه الدنيا الحقيرة ؟ ألا تساوي المدائح التي نرددها في كل مكان عن هذا الخان شيئاً ؟ لقد نظمت مقطوعة أشدت فيها بذكر ما عندك من حمام مشوي ومن فطائر ! .. أما عن السيد الكابتن فحسبك أن تعلم أنه يستطيع بمفرده أن يصد جيشاً بأسره ، ويحمي خانك الذائع الصيت . ألا يساوي هذا شيئاً ؟ عجباً ! كل شيء يجب أن يقدر في هذا العالم بالمال !

صاحب الخان : لست مستعداً لهذه السخريات ، ولا حاجة بي إلى مقطوعاتك الشعرية ولا إلى سيف السيد الكابتن ، فخير له أن يستعمله فيما هو أجدى .

الكابتن : ويلك لو امتشقته وعاقبت به صعلوكاً مثلك (يتهدده ويضربه بالسيف) .

صاحب الخان : (وهو يصيح) ما هذا ؟ أتشهره في وجهي ؟ الرحمة ! العدالة !

أرلكين : (وهو يمنع الكابتن) لا تعرض نفسك للخطر من جراء هذا المخلوق الحقير !

الكابتن : لا بد من أن أقتله .

صاحب الخان : الرحمة ! العدالة !

الخادمان : (وهما يخرجان من الخان) يقتلون سيدنا !

صاحب الخان : أنقذوني .

الكابتن : لن أترك أحداً !

صاحب الخان : ألا يأتي أحد !

لندرو : (يخرج مع كرسين) ماهذا الصياح وماهذه الضجة ؟

كرسين : وفي مكان ينزل فيه سيدي ؟ ألا سبيل إلى الراحة في هذا الخان ؟ سأستعين بالعدالة لتقر النظام فيه .

صاحب الخان : في ذلك خراب لي ومثل هذا السيد العظيم في الخان .

أرلكين : من هو ؟

صاحب الخان : لا تجرؤ على السؤال عنه .

الكابتن : معذرة يا سيدي إن كنا سبباً في إقلاق راحتكم .

صاحب الخان : لم يكن الذنب ذنبي يا سيدي بل ذنب هذين اللذين لا أدب عندهما ولا حياء .

الكابتن : أتصفني بقلة الحياء ؟ لن أبالي بشيء في سبيل الانتقام منك !

كرسبين : حسبك أيها السيد الكابتن ، فأنت بين يدى من يأخذ بحقك ويرد الإهانة إن كان قد لحقك من هـذا الرجل شىء !

صاحب الخان : انظر . منذ أكثر من شهر وهذان يأكلان فى هذا الخان دون أن يدفعا لى شيئا ، واليوم وقد رفضت إنزالهما فى الخان يثوران على .

أرلكين : أنا لا أفعل شيئا فأمورى كلها أستعين عليها بالصبر .

الكابتن : وهل يجوز ألا يوثق فى جندى ؟

أرلكين : وهل يجوز ألا تقدر مقطوعة شعرية نظمتها فى الحمام المشوى وفى الفطائر ؟

كرسبين : إن هذين السيدين الكريمين لا عيب فى قولهما ، ومن المخجل أن يعامل شاعر وجندى على هذا النحو .

أرلكين : آه يا سيدى إنك لذو نفس كبيرة .

كرسبين : أما أنا فلا ، وهاكم سيدى الذى يرى — لعظمته — أنه لا خير من الشاعر ومن الجندى .

ليندرو : هذا حق .

كرسبين : وثقا بأنه ما دام مقيما فى هذه المدينة فلن يعوزكما شىء ، وكل ما تنفقان على حسابه .

ليندرو : هذا حق .

كرسبين : وسينظر فى أن يعاملكما صاحب الخان كما ينبغى .

صاحب الخان : أيها السيد !

كرسبين : ولا ينبغي لك أن تبخل بحمامك المشوى وفطائرك ، فلا يجوز أن تترك شاعراً كالسنيور أرلكين يردد فى أحلامه الحديث عما لذ وطاب من هذه الأشياء . .

أرلكين : أتعرف اسمى ؟

كرسبين : أنا لا أعرفه ولكن سيدى وهو إنسان عظيم يعرف كثيرا من الشعراء الأحياء منهم والأموات ما داموا جديرين بصفة الشعر .

ليندرو : هذا حق .

كرسبين : وليس أحد فى مثل قدرك يا سيد أرلكين ، وكلما خطر ببالى أنك لم تلق كل ما أنت أهل له من احترام وتبجيل . . .

صاحب الخان : معذرة يا سيدى ؛ سأتولى خدمتهما كما تأمرونى ، وحسبى أنكم تضمنونهما .

الكابتن : متى يتاح لى أيها السيد العظيم أن أقوم بخدمتكم . . .

كرسبين : وهل تعارفنا بالشيء القليل أيها الكابتن المجيد الجدير بأن يتغنى به هذا الشاعر الغريد ! . .

أرلكين : سيدى .

الكابتن : سيدى .

أرلكين : وهل تحفظ أشعارى ؟

كرسين : كيف أحفظها ؟ إنها فى عالم النسيان ! أليست من شعرك هذه المقطوعة الرائعة التى مطلعها :
« اليد الكريمة التى لم تخلق إلا لتنعم وتقتل » .

أرلكين : ماذا قلت ؟

كرسين : اليد الكريمة التى لم تخلق إلا لتنعم وتقتل .

أرلكين : أهذا ما قلت ؟ كلا ليس هذا من شعرى .

كرسين : ولكنه جدير بأن يكون لك ؛ وأنت أيها الكابتن : من يجهل بطولتك ؟ ألست أنت الذى هجمت وحدك على حصن « لاس پنيِّس روخَس » وليس معك سوى عشرين رجلا فى موقعة «لُسْ كَمْپُس بَجْرُس» الشهيرة ؟

الكابتن : تعلم هذا . . . ؟

كرسين : كيف لا أعلمه ، وكم سمعت ذلك يرويه سيدى وهو متحمس ! عشرون رجلا وأنت فى مقدمتهم ، وهنالك من الحصن . . . بوم ! بوم ! بوم ! طلقات وقذائف وحمم تتلظى وشياطين تحترق . . . عشرون رجلا كأنهم رجل واحد وأنت أمامهم ! والذين من فوق . . . بوم ! بوم ! بوم ! ثم الطبول . . . ران ، راتيلان ، پلن ! والأبواق . . . تارارى ! تارى ! تارى ! وأنت وحدك بالسيف ومن غير السيف . . .

رِس ، رِس ، رِس ! ضربة هنا وضربة هناك . . .
رأس هناك . . . وذراع هناك

(ويمضى فى تسديد الضربات بالسيف فيصيب صاحب الخان والخادمين)

الخادمان : آى . آى .

صاحب الخان : إنه يتحمس كما لو كان الأمر حقيقيا .

كرسبين : كيف لا أتحمس وأنا دائما مولع بالحرب .

الكابتن : إنك من يراك لا يشك فى أنك شهدت الموقعة .

كرسبين : سماعه من سيدى يعدل رؤيته بل خير من رؤيته ! وجندى هذا شأنه بل بطل « لاس پنيس روخس » فى موقعة « لس كيس نجرس » يعامل على هذا النحو ؟ . . . آه ! من حسن الحظ أن سيدى هنا ، وأن شئونا هامة قد أتت به إلى هذه المدينة ، وسيأمر بأن تعاملا بما يليق بكما من احترام . . . شاعر شهير وكابتن عظيم . (ثم يتوجه بالحديث إلى الخادمين) أسرعا . ماذا تفعلان هنا وقد جمدتما فلا حراك ؟ أحضرا خير ما فى الخان وعجلا قبل كل شىء بزجاجة نبيذ من أجود النبيذ ، فسيدى يريد أن يشرب مع هذين السيدين وسيكون اليوم يوما مجيدا مشهودا . . . ماذا تفعلان هنا ؟ أسرعا ! . . .

صاحب الخان : بلى بلى ! خرجت من المأزق (ينصرف مع الخادمين إلى داخل الخان)

أرلكين : أيها السيد ! كيف نقدر على شكرك ؟

الكابتن : وندفع لك ما تنفقه . . ؟

كرسبين : لا يتكلم أحد عن الدفع فهى كلمة تسيء ! اجلسا اجلسا ! فجلوسكما هذا مع سيدى الذى اجتمع حول مائدته العظماء والأمراء من أعظم دواعى فخره .

ليندرو : هذا حق .

كرسبين : إن سيدى قليل الكلام ولكن كلماته القليلة — كما ترون — روائع مليئة بالحكم .

أرلكين : يدل على عظمة فى كل شيء .

الكابتن : إنك لا تعلم مدى شعورنا وقد ذهب عنا الروع وسكنت نفوسنا التى حطمها الهم بلقاء سيد عظيم مثلك ينظر إلينا على هذا النحو .

كرسبين : ليس هذا بشيء ، فأنا أعلم أن سيدى لا يكفيه مثل هذا المعروف القليل ، وهو قادر على أن يحملكما معه ويرفعكما إلى أعلى المراتب . . .

ليندرو : لا تكثر من الإطراء يا كرسبين . . .

كرسبين : سيدى لا تعجبه الأقوال وستعرفانه بالأعمال .

صاحب الخان : (يخرج مع الخادمين اللذين يحضران الطعام ويعدان المائدة)
ها هو النبيذ . . . والطعام .

كرسبين : اشربا اشربا وكلا ولا تحرما أنفسكما من شيء؛ فسيدى كفيل بكل ما تريدان ، وإن أعوزكما شيء فلا ترددا فى أن تطلباه وسيدى يأمر به ، فصاحب الخان إنسان اعتاد الإهمال .

صاحب الخان : كلا كلا ولكنك تعلم . . .

كرسبين : لا تقل شيئا فأنت إذا تكلمت لا تنطق إلا بالحماقات .

الكابتن : فى صحتك !

ليندرو : فى صحتكما أيها السيدان . فى صحة أعظم الشعراء وخير الجند .

أرلكين : فى صحة أنبل سيد .

الكابتن : فى صحة أكرم سيد .

كرسبين : وأنا أيضا أشرب وإن كان فى شربى جرأة ولكنه يوم جليل عند الكل ، جمع بين أعظم شاعر وأشجع كابتن وأكرم سيد وأوفى خادم . . . واسمحا لى بأن ينصرف سيدى فالشئون التى قدم من أجلها هذه المدينة لا تحتمل تأخيرا .

ليندرو : هذا صحيح .

كرسبين : ولا تنسيا أن تقدما له الإجلال والاحترام كل يوم !

أرلكين : وكل ساعة . ولابد من أن أجمع له الموسيقيين والشعراء من أصدقائى لنحتفل به ، فتصدح الموسيق ونردد الأغانى والأناشيد .

الكابتن : وأنا أحضر فرقتى بالمشاعل والأضواء .

ليندرو : إنكما تخجلان تواضعى .

كرسبين : والآن إلى الطعام والشراب ... بسرعة ! الطعام أيها الخادمان (يكلم الكابتن على انفراد) قل لى فيما بيننا ... لعلكما لا تملكان شروى نقير ؟

الكابتن : ماذا أقول لك ؟

كرسبين : لا تقل شيئا (ينادى صاحب الخان) تعال ادفع لهذين السيدين أربعين أو خمسين سكودو بأمر من سيدى ... وعليك أن تنفذ أوامره .

صاحب الخان : فكر فيما تقول ! أتقول أربعين أو خمسين سكودو ؟

كرسبين : فلتكن ستين ... وداعا أيها السيدان .

الكابتن : يحيا أكرم الناس .

أرلكين : يحيا .

كرسبين : اهتفوا أنتم أيها الأوباش .

الخادمان وصاحب الخان : يحيا !

كرسبين : يحيا أعظم الشعراء وأعظم الجنود !

الجميع : يحيا !

ليندرو : (يكلم كرسبين على انفراد) ما هذه الحماقات يا كرسبين وكيف نخرج منها ؟

كرسبين : كما دخلنا . ها أنت ترى الشعر والسلاح ملك أيدينا .. فلنتقدم ! ولنمض فى فتح العالم .

(الجميع يؤدون التحيات ومظاهر التبجيل ، وينصرف ليندرو وكرسبين من الباب الأيسر ، ويقبل الكابتن وأرلكين على أكل الشواء الذى يقدم لهما)

(صمت)

المنظر الثانى

حديقة لها واجهة بيت صغير ، بها باب يسهل فتحه على الشمال ، وذلك ليلا .

المشهد الأول

دنيا سرينا وكلمبينا تخرجان من البيت الصغير .

سرينا : ألا تفقد الواحدة منا صوابها يا كلمبينا ؟ سيدة ترى نفسها فى مأزق مشين ، وبينها أناس من السفلة والغوغاء ! وكيف تأتى لك أن تعودى إلى بهذا الكلام ؟

كلمبينا : ألست كنت ستعرفينه ؟

سرينا : الموت خير لى ! وكلهم قالوا لك نفس الشىء ؟

كلبينا : كلهم واحدا واحدا كما سمعت . . . الخياط الذى لن يبعث إليك بالثوب حتى تدفعى له ما عليك من دين .

سرينا : الوقح ! قاطع الطريق ! وهو الذى يدين لى بكل ما لديه فى هذه المدينة ، ولم يكن يعرف شيئا من ثياب السيدات حتى صنعت عنده ثيابى !

كلبينا : والطباخون والموسيقيون والخدم كلهم جميعا يرددون نفس الكلام ، لن يقوموا بشىء فى حفلة هذه الليلة ما لم تدفعى لهم مقدما .

سرينا : أوغاد ! أشقياء ! يا للزمان الذى اشتدت فيه وقاحة أناس لم يخلقوا إلا لخدمتنا ! أليس هناك ما يدفعه الإنسان سوى المال ؟ ألم يعد يقدر شىء سوى المال ؟ يا بؤس من كانت مثلى لا ملجأ لها من زوج ، ولا أقارب ولا أهل من الرجال ، وامرأة وحدها لا تساوى شيئا فى هذا العالم مهما كانت عليه من نبل وفضيلة ، آه يا عصور الهلاك ، عصور آخر الدنيا ! كان لا بد أن يظهر المسيح الدجال .

كلبينا : لم أرك ضيقة الصدر كاليوم ؛ إنى لا أعرفك . لقد استطعت أن تخرجى من أشد المآزق حرجاً .

سرينا : كان ذلك فى وقت مضى ، كنت يومئذ أعتد بشبابى

وبجمالى وأتخذ منهما حليفين قويين ، وكان يجثو بين يدى الأمراء والسادة ذوو الجاه .

كلبينا : ومع ذلك لم تكن تجاربك ومعرفتك بالعالم مثل ما أنت عليه الآن ، وأما جمالك فلم يبلغ قط غايته كما بلغ الآن ، وهذا ما لا شك فيه .

سرينا : دعك من الإطراء ، كنت أرى نفسى على هذه الصفة لما كنت دنيا سرينا بنت العشرين .

كلبينا : الأعوام هى التى تعنينها ؟

سرينا : وماذا ظننت غير هذا ؛ وماذا أقول عنك وأنت لم تكملى عشرين ربيعا ومع ذلك لا تعرفين كيف تجنين ثمرتها ؟ لا أكاد أصدق أنى وقد رأيتنى وحيدة لا خادم لى اتخذتك ابنة أخت ؛ ولو أنك بدلا من أن تعصرى شبابك غراماً بأركلين هذا الشاعر الذى لا يستطيع أن يهبك شيئا سوى شعر وموسيقى عرفت كيف تستغلينه لما رأينا أنفسنا فى هذه الحالة الحزينة .

كلبينا : ماذا تريدين ؟ أنا لا زلت صغيرة السن بحيث أعجز عن أن أرى نفسى محبوبة ولا أستجيب للحب ، وإذا كان لابد من أن أتقن فن تعذيب العاشق وعنائه لحبى إياى فإنى فى حاجة قبل ذلك إلى أن أعرف

كيف يشق الإنسان بالحب ، ثق بأنى سأعرف كيف أبرأ منه ، إنى لم أكمل عشرين ربيعا ، ولا تظنى أنى قليلة العقل بحيث أتزوج أرلكين .

سرينا : أنا لا أثق فيك فأنت تتبعين الهوى دائما وتنساقين وراء الخيال والأحلام ، ولكن لنفكر الآن فيما يهم ، ماذا تفعل إزاء هذا المأزق الحرج ؟ لقد آن أن يأتى المدعوون وكلهم من ذوى المكانة والجاه ، وفيهم السنيور بلتشنيلا وزوجته وابنته ، وأمرهم يعنينى أكثر مما يعنينى أمر غيرهم لأسباب كثيرة ؛ تعلمين أن هذا المنزل يفد عليه سادة من أرفع الطبقات ولكنهم مثلى لا قيمة لمظهرهم الرفيع إذ يعوزهم المال ، وما منهم إلا من يرى أن زواجه من ابنة السنيور بلتشنيلا بمهرها الغالى ، والميراث الكبير الذى سترثه من أبيها عند موته صفقة رابحة ، فكثيرون هم الذين يطلبونها ، ومن أجلهم جميعا أحافظ على صداقتى مع السنيور بلتشنيلا وزوجته ؛ ولا شك أن المحظوظ منهم سيكافئنى على مساعى بسخاء ، وقد أخذت على كل منهم عهداً بذلك ضمانا لنفسى ، ولم تبق لدى وسائل أخرى سوى هذه المساعى أصلح بها من شأنى بعض الشىء ، ولو حدث

وتعلق بك تاجر غنى . . من يدرى ؟ لعاد هذا البيت
إلى ما كان عليه من قبل ، ولكن لو تجاوزت قحة
هؤلاء الأوباش حدها ولم أتمكن من إقامة الحفل . .
لا أريد أن أفكر فى هذا — لكان فيه خرابى .

كلبينا : لا تكونى هكذا . أما عن إكرامهم فلن يعوزنا
ذلك ، وأما عن الموسيقيين والخدم فإن السنيور
أرلكين ، وهو شاعر نظير شىء من هذا ، ومدله بحبى
لقاء شىء نرجوه منه ، فإنه كفيل بأن يعد كل شىء على
الفور ؛ فهو يعرف كثيرا من المهرجين المضحكين
الذين يقومون بكل ما يطلب منهم ، وسترين أنه لن
ينقص الحفل شىء ، وسيتحدث ضيوفك بأنهم
لم يشهدوا فى حياتهم حفلا رائعا كهذا الحفل .

سرينا : أى كلبينا ! لو حدث هذا لازداد حبى لك ! أسرعى
فى البحث عن شاعرك . . لا ينبغى أن نضيع لحظة
واحدة .

كلبينا : شاعرى ؟ لا بد أنه يمر بجانب من جوانب هذه
الحدائق ينتظر إشارة منى . .

سرينا : لا يحسن بى أن أشهد لقاءكما ، فلا ينبغى لى أن أحط
من قدرى فى التماس مثل هذا المعروف . . وإنما أتركه
لك . واحرصى على ألا ينقص الحفل شىء ، وأنا كفيلة

بأن أكافئ الجميع ، ولن يستمر الضيق الذى نحن فيه الآن طويلا . . وإلا لما كنت دنيا مرينا !

كلبينا : سيتم كل شىء على ما يرام فدعى التفكير ولا تهتمى بشىء (تنصرف دنيا مرينا عن طريق البيت الصغير) .

المشهد الثانى

كلبينا ثم كرسبين الذى يخرج من الباب الثانى عن اليمين .

كلبينا : (تتوجه إلى الباب الثانى عن اليمين وتنادى)
يا أرلكين ! يا أرلكين !
(ثم تبصر بكرسبين وهو خارج) ليس هو !

كرسبين : لا تخشى شيئا أيتها الحسناء كلبينا محبوبة أعظم عبقرى ، لم يشأ لكونه شاعرا غريبا فى كل شىء أن يبلغ بشعره أقصى حسنك ، وإذا كان ثمة فرق دائما بين الحقيقة والصورة فإن الحقيقة فى هذه الحالة تفضل الصورة على جمالها !

كلبينا : وأنت ؟ أشاعر أيضا أم مجرد إنسان من الحاشية والمداحين ؟

كرسبين : أنا خير صديق لمحبوبك أرلكين وإن كنت لم أعرفه إلا اليوم فقط ، ولكنه وقف فى هذا الزمن القصير

على دلائل صداقتى ؛ لقد كان كل همى أن أحبيك ؛ وما كان السنيور أرلكين ليحرص على إرضائى ومودتى إلا لأنه يثق كثيرا فى صداقتى التى لولاها لتعرضت لخطر الحب لا لشىء إلا لأنه أتيح لى أن أراك .

كلبينا : إن السنيور أرلكين يثق كثيرا فى الحب الذى أكنه بقدر الصداقة التى تضمرها ، فلا يكن كل الفضل من جانبك ، فمن الادعاء الكاذب تنازل الرجال عن التمتع بحياتهم وتنازل النساء عن قلوبهن .

كرسبين : الآن أدرك أنك لست خطرة على من يراك بقدر خطورتك على من يتسنى له سماعك .

كلبينا : معذرة ولكن لا بد لى من أن أكلم السنيور أرلكين قبل إقامة الحفل .

كرسبين : لا داعى لذلك ، فمن أجل هذا قدمت رسولا من قبله ومن قبل سيدى الذى يقبل يديك .

كلبينا : ومن سيدك ؟ إن كان من الممكن معرفته .

كرسبين : أنبل السادة وأجلهم ؛ اسمحى لى الآن أن أكتم اسمه ، وستعرفينه قريبا ، وسيدى يريد أن يحيي دنيا سرينا ويشهد حفلة هذه الليلة .

كلبينا : الحفلة ! ألا تعرف . . ؟

كرسبين : أعرف ، ومن واجبي أن أكشف لك كل شيء ، أعلم أن هناك عقبات كان يمكن أن تحول دون إقامتها ، ولكن ستزول كل عقبة فقد أعد كل شيء .

كلبينا : كيف تعرف ذلك . . ؟

كرسبين : أؤكد لك أنه لن يعوز الحفلة شيء : مأدبة فاخرة وأضواء وصواريخ وموسيقيون ومغنون . ستكون أكثر حفلات العالم تألقا . .

كلبينا : ترى هل أنت ساحر ؟

كرسبين : ستعرفينني ، كل ما أقوله لك أنه لأمر ما قد جمع القدر اليوم أناساً من ذوى الفطرة السليمة ، لا يرضون أن يعكروا صفوه بالتدقيق المفرط فيما لا يجدى ، وسيدى يعلم أنه سيشهد حفلة الليلة السنيور بلتشنيلا وليس معه سوى ابنته الوحيدة سلفيا الحسناء ، أحسن صفقة فى هذه المدينة ؛ ومن الواجب أن يغرم بها سيدى ويحبها ويتزوجها ؛ وسيدى يعرف كيف يكافئ دنيا مرينا على مساعيها ويكافئك أنت أيضا إذا بذلت شيئا فى سبيله .

كلبينا : دعك من اللف والدوران . هل من ضرورة للإساءة إلى بهذه الجرأة ؟

كرسبين : إن الوقت يمر سريعا ولم يتح لى أن أكون مجاملا مهذبا .

كليينا : إذا كان من الممكن الحكم على السيد من الحكم على خادمه . . .

كرسبين : لا تخشى شيئا ، وستجدين سيدى خير الناس أدبا وظرفا ، قلة حيائى يقابلها حياؤه ؛ وضرورات الحياة القاسية قد تحمل أسمى الناس منزلة على أن يباشر أحقر الأعمال ، كما قد تحمل كرائم العقيلات على أحط المهن ؛ وامتزاج الحطة بالرفعة يفضى بالمرء إلى أن يصير مغمورا ؛ فالبراعة فى أن تنفصل عن النفس الواحدة نفسان ؛ وأنا وسيدى — ونحن نفس واحدة — كلانا جزء من الآخر . حبذا لو كان الأمر كذلك دائما ؛ فكلنا يشتمل فى نفسه على سيد جليل القدر ، سامى الأفكار ، قادر على كل شىء عظيم ، وعلى كل شىء جميل . . . وبجنبه الخادم الذليل ذو العمل الحقير ، لا هم له إلا التافه من الأمور التى تضطره إليه الحياة ؛ والفن كله فى فصلهما بحيث كلما أتى المرء عملا وضيعا قال : لم يكن لى يد فيه ، لم أكن أنا فاعله وإنما هو خادمى . وفى أقصى مظاهر بؤسنا وشقائنا يوجد فينا شىء يريد أن يحس بالسمو على ذواتنا ، ولقد

يزدرى بعضنا بعضا ازدراء شديدا إذا نحن لم نحسن الانتفاع بما هو أكثر من حياتنا ... والآن تعلمين من سيدى ، هو ذو الأفكار السامية ، والأحلام الجميلة ؛ وتعلمين من أنا ، أنا الإنسان ذو الأعمال الحقيرة الذى لا هم له إلا أن يتعقب وينقب بين الأكاذيب والشقاء ، لكن فى شيئا واحدا يسمو بى ويرفع قدرى عند نفسى ؛ أعنى به إخلاصى فى الخدمة ، هذا الإخلاص الذى يذل ويخضع ليطير الإنسان الآخر وليكون السيد ذا الأفكار السامية ، والأحلام الجميلة . (تسمع موسيقى من الداخل)

كلمبينا : ماهذه الموسيقى ؟

كرسبين : هى التى يحضرها سيدى إلى الحفلة ، ومعها الخدم والحشم ، وجماعة كبيرة من الشعراء والمغنين يتقدمهم السنيور أرلكين ، ثم فرقة من الجند على رأسها الكابتن يتقدمها بالمشاعل ...

كلمبينا : من سيدك الذى يقدر على كل هـــذا ؟ دعنى أسرع لأخبر سيدتى ...

كرسبين : لاداعى لذلك فهى تأتى وحدها .

المشهد الثالث

دنيا سرينا تخرج من البيت الصغير .

سرينا : ما هذا ؟ من الذى أعد هذه الموسيقى ؟ ومن هؤلاء الذين يقبلون على منزلنا بضجيجهم ؟

كلبينا : لا تسألى عن شيء يا دنيا سرينا . لعلك تعلمين أنه وفد على هذه المدينة سيد جليل القدر ، هو الذى تعهد بإعداد الحفلة فى هذه الليلة ؛ وسيفضى خادمه إليك بكل شيء ، ولست أدرى حتى الآن ماذا أقول ؛ إن كنت قد تكلمت مع مجنون أو مخاتل ، وعلى أى حال أستطيع أن أؤكد لك أنه إنسان عجيب . . .

سرينا : إذاً لم يكن أرلكين . . . ؟

كلبينا : لا تسألى . . . لقد كان كل شيء كأنه أمر من السحر .

كرسبين : يا دنيا سرينا ! إن سيدى يستأذنك فى أن يقبل يديك ؛ وليس ينبغى لسيدة رفيعة القدر وسيد نبيل عظيم أن يتفاهما على أساس من المخاتلة والدسائس ، فذلك ما لا يليق بمكانتهما ، ولهذا جئت لأفضى إليك بكل شيء قبل أن يأتى هو ؛ إنى أعلم من شأنك آلاف الأمور الجليلة التى تضمن لى الثقة كل الثقة فيك . . . ومن الحماقة تعدادها وذكرها . سيدى يؤكد لك

فى هذه الورقة (يدفع إليها ورقة) وهى بإمضائه التعهد الذى يلزمه الوفاء به إذا استطعت من جانبك أن تحقق ما يطلبه منك .

سرينا : أية ورقة هذه وأى تعهد هذا . . (تقرأ الورقة سرا) كيف ! مائة ألف سكودو فوراً ، ومثلها عند موت السنيور بلتشنيلا إذا تزوج ابنته ؟ ما هذه الوقاحة ؟ أيوجه مثل هذا الكلام إلى سيدة ؟ أتعرف مع من تتكلم ؟ أتعرف أى بيت هذا ؟

كرسبين : يا دنيا مرينا . . . معذرة فقد أغضبتك ، لا أحد يهمك هنا ؛ احتفظى بهذه الورقة مع غيرها . . . ولا داعى للإكثار من الحديث فى هذا الموضوع ، فسيدى لا يطلب منك شيئا لا يليق ، ثم أنت لا توافقين عليه . . . فهو إن تم سيكون بمحض الصدفة والحب ؛ أنا الخادم الذى دبر هذه الأمور التى لا تليق ، وأنت السيدة النبيلة وهو سيدى النبيل ؛ وحين تلتقيان فى الحفلة ستتحدثان عن آلاف الأمور الرفيعة الرقيقة ، وضيوفكما يمرون ويتحدثون من حولكما ؛ يعجبون بجمال الحسان ، وفنون الثياب ، وروعة التكريم ، وعذوبة الموسيقى ، وظرف الراقصات . . . ترى من الذى سيجرؤ على أن يقول

ليس هذا كل شيء؟ أليست الحياة كذلك: حفل تخفى الموسيقى فيه الكلمات، والكلمات تخفى الأفكار؟ فلتصدح الموسيقى ولا تنقطع، وليزدهر الحديث بالضحكات المرحة، وليكن العشاء معداً على خير وجه ... فهذا كل ما يهتم به المدعوون . وها هو سيدى يقبل لتحيتك بكل ظرف ورقة .

المشهد الرابع

ليندرو وأرلكين وكرسبين (يخرجون من الباب الثانى على الشمال)

ليندرو : دنيا سرينا ! دعينى أقبل يديك .

سرينا : مرحبا أيها السيد .

ليندرو : لعل الخادم قد ذكر لك على لسانى كل ما كنت أريد أن أقول .

كرسبين : إن سيدى ، وهو شخص خطير ، قليل الكلام ، وإعجابه صامت .

أرلكين : ولكنه إعجاب من يعرف حق المعرفة .

الكابتن : الكمال الحق .

أرلكين : والشجاعة الحقة .

الكابتن : وفن الشعر الذى لا يسامى .

أرلكين : وعلم الحرب الرائع .

الكابتن : وهو فى كل ذلك يدل على عظمة .

أرلكين : أنبل سيد فى العالم .

الكابتن : سيكون سيفى هذا طوع أمره .

أرلكين : لا بد أن أقصر خير شعرى على التغنى بمجده .

كرسبين : حسبكما حسبكما فأنتما تخجلان تواضعه الذى فطر عليه . انظرا كيف يود لو اختفى واحتجب عن الأنظار . إنه بنفسجة .

سرينا : ليس فى حاجة إلى الكلام من يجعل الناس يشيدون بذكره ويثنون عليه (وبعد أن يؤدى الجميع مظاهر التحيات والإجلال يخرجون من الباب الأول على اليمين ؛ تتحدث سرينا إلى كلبينا) ما رأيك فى هذا يا كلبينا ؟

كلبينا : السيد ذو شخصية رائعة جداً ، والخادم ذو وقاحة رائعة جداً .

سرينا : كل شىء له فائدته ؛ ولكنى بين أمرين : إما أنى لا أعرف شيئاً عن العالم وعن الرجال ، وإما أن الحظ أتى اليوم يبتى من الباب .

كلبينا : لا شك عندى فى أنه الحظ ، فعن العالم تعرفين شيئاً ، والرجال لا يعرفهم أحد مثل معرفتك .

سرينا : رسيلا ولورا أول من يصل .

كلبينا : ومتى كانتا آخر من يصل فى حفلة من الحفلات ؟ أتركك معهما ، فأنا لا أريد أن أضيع لحظة يتاح لى فيها رؤية السيد العظيم ... (تنصرف من الباب الأول على اليمين)

المشهد الخامس

دنيا سرينا ولورا ورسيلا (يخرجن من الباب الثانى على الشمال) .

سرينا : مرحبا يا صديقتىّ ، لقد شق على تأخركما .

لورا : وهل تأخر بنا الوقت ؟

سرينا : دائما متأخر بالنسبة لى ، فأنا حريصة على رؤيتكما فى أقرب وقت .

رسيلا : لقد تركنا حفلين آخرين حتى لا نتخلف عن الحضور إلى منزلك .

لورا : قيل لنا إن الحفل لن يكون الليلة لأنك متوعكة قليلا .

سرينا : ولكنى لو كنت أموت لأقمت الحفل لا لشىء إلا نكاية فى المغتابين وأصحاب ألسنة السوء .

رسيلا : ونحن كنا نفضل الموت على أن نتخلف عن حضوره .

لورا : هل تعرفين الأخبار ؟

رسيلا : لا حديث للناس إلا عنها .

لورا : يقال إنه وصلت إلى المدينة شخصية غامضة ، وبعض

الناس يقولون إنه سفير سرى من البندقية أو من فرنسا .

رسيلا : ويقول آخرون إنه قدم للبحث عن زوجة لسلطان الترك .

لورا : ويؤكدون أنه رائع كأدونيس . .

رسيلا : حبذا لو كان من الممكن معرفته ، كان يجدر بك أن تدعيه إلى الحفل .

سرينا : لم يكن هناك داع لذلك يا عزيزتى ، فهو نفسه أرسل سفيرا يستأذن فى أن أستقبله ، وهو فى منزلى ، وستريانه عاجلا .

لورا : ماذا تقولين ؟ أنظرى كيف وفقنا حين تركنا كل شىء من أجل مجيئنا إلى منزلك .

رسيلا : ما أكثر من سيحسدننا الليلة !

لورا : الكل يتعبون أنفسهم ليعرفوه .

سرينا : أما أنا فلم أفعل شيئا فى سبيل ذلك ، وكل ما هنالك أنه عرف أن فى منزلى حفلا .

رسيلا : كذلك كان الشأن معك ، لا يصل إلى المدينة شخص ذو جاه إلا سعى إليك ليقدم إجلاله .

لورا : ها قد تأخرت فى رؤيته . أحلفك بحياتك أن تذهبى معنا إليه .

رسيلا : أرجوك . اذهبي معنا إليه .

سرينا : معذرة فالسنيور بلتشنيلا يصل هو وأسرته ... ولكن ما بالكما لا تذهبان إليه وحدكما وليس الحديث معه أمراً صعبا .

رسيلا : لا بأس . هيا بنا يا لورا .

لورا : هيا بنا يا رسيلا نذهب إليه قبل أن يشتد الزحام ويتعذر علينا الاقتراب منه (تذهبان من الباب الأول على اليمين)

المشهد السادس

(دنيا سرينا وبلتشنيلا وزوجته وسلفيا يخرجون من الباب الثانى على اليمين)

سرينا : أوه مرحبا يا سنيور بلتشنيلا ! كنت أخشى ألا تأتوا ! لم يبدأ الحفل بالنسبة لى إلا فى هذه اللحظة .

بلتشنيلا : لم أكن أنا سبب التأخير ، بل زوجتى السبب فقد كانت حائرة بين أربعين فستانا لم تعرف أيها تضع .

سنيورا بلتشنيلا : لو كان الأمر له لجئت على أى وضع ، انظرى كيف جئت وأنا مختنقة الأنفاس بسبب السرعة .

سرينا : بل تأتين وأنت غاية فى الرشاقة .

بلتشنيلا : ومع ذلك لم تحضر معها نصف حليهـا لثقل وزن هذه الحلى .

سرينا : ومن أجدر منك بأن يفخر بأن زوجته تظهر ثمرة غنى اكتسبته بعملك ؟

سنيورا بلتشنيلا : أليس هـذا وقت الانتفاع بهذا الغنى ووقت التطلع إلى آمال سامية ؟ ومع ذلك فهو يريد أن يزوج ابنته من سمسار .

سرينا : لا يا سنيور بلتشنيلا . ابنتك أهل لمن هو أعظم من سمسار بكثير ، وهذا مالا مجال للتفكير فيه ، ولا يجوز التضحية بقلبها من أجل مصلحة أيا كانت . ما رأيك يا سلفيا ؟

بلتشنيلا : لو كان الأمر لها لاختارت شابا مدللا ، فهى على الرغم منى مولعة بالقصص والشعر .

سلفيا : أنا أفعل ما يأمر به أبى ما دام لا يضايق ذلك أمى ولا يجر النكد علىّ .

سرينا : هذا هو الكلام السليم .

سنيورا بلتشنيلا : أبوك يرى أنه لا قيمة لشىء إلا المال ، فهو وحده الذى يقدر فى العالم .

بلتشنيلا : أنا أرى أنه بدون المال لا قيمة ولا قدر لشىء ، فهو ثمن كل شىء .

سرينا : لا تقل هذا . والفضائل والمعرفة والنبل ؟

بلتشنيلا : لكل شيء ثمنه ، من يشك فى هـذا ؟ ولا يعلم ذلك خيرا منى فقد اشتريت كثيرا من هذا كله ، ولم يكن غالى الثمن .

سرينا : لا يا سنيور بلتشنيلا ، إنك تمزح ، فأنت خير من يعلم أن المـال ليس كل شيء ، ولو أحبت ابنتك سيدا من ذوى المكانة والنبل لما وقفت فى طريقها ، وأعلم أنك تضم بين جوانحك قلب الأب العطوف .

بلتشنيلا : هذا صحيح ، وأنا من أجل ابنتى أفعل كل شيء .

سرينا : إلى حد الإفلاس والخراب ؟

بلتشنيلا : ليس هذا من علامات الحب والعطف ، وقبل أن يقع ذلك أقدر على السرقة والقتل . . وعلى كل شيء .

سرينا : أعلم أنك تعرف كيف تعيد ثروتك . ولكن ما لنا نمضى فى الكلام وقد أخذ النشاط يدب فى الحفل ؟ تعالى معى يا سلفيا وعندى لك سـيد تراقصينه . ولا شك أنكما ستكونان أكثر الراقصين تألقا فى الحفل (يتجهون جميعا إلى البـاب الأول على اليمين ، ويقابل كرسبين أثناء دخوله من الباب الثانى على الشمال السنيور بلتشنيلا ساعة خروجه فيستوقفه) .

المشهد السابع

كرسبين وبلتشنيلا

كرسبين : ياسنيور بلتشنيلا ! لامؤاخذة .

بلتشنيلا . من ينادى ؟ أتريدنى ؟

كرسبين . ألا تتذكرنى ؟ لاغرابة فى ذلك فالزمن يمحو كل شىء ؛ وحين يكون ما ينمحى شيئا يضيق به الصدر فهو لايترك بقية ولو كانت نقطة على سبيل الذكرى ، وإنما يبادر إلى صبغها بألوان فرحة ، هذه الألوان التى تخفى بها عن العالم حماقاتك ، وحين عرفتك ياسنيور بلتشنيلا لم يكن يغطى جسدك سوى أسمال مهلهلة .

بلتشنيلا . ومن أنت وأين عرفتنى ؟

كرسبين . كنت وقتئذ صغيرا ، وكنت أنت رجلا ناضجا ، ولكن هل نسيت تلك الأعمال المجيدة فى البحر ، والانتصارات على الترك ، ولم يكن بالقليل ما بذلنا من جهود الأبطال ونحن معاً متحدان حول الشراع فى سفينة مجيدة واحدة ؟

بلتشنيلا . أحمق ! اسكت وإلا . . . !

كرسبين . تفعل معى كما فعلت مع سيدك الأول فى نابلى ، وزوجتك الأولى فى بولونيا ، ومع ذلك التاجر اليهودى فى البندقية . . .

بلتشنيلا : اسكت ! من أنت الذى تعرف كثيراً وتتكلم كثيراً !..

كرسبين : أنا . . . ما كنته أنت ، والذى سيصل إلى ما أنت عليه الآن . . . كما وصلت . . . ولكن دون عنف كثير كما فعلت ، لأن الزمان غير الزمان ؛ ولم يعد يقتل إلا المجانين والعشاق وبعض المساكين الذين ربما اعتدوا بالسلاح على أحد المارة فى الشوارع المظلمة أو الطرق المهجورة . طعمة للمقصلة ، طعمة حقيرة !.

بلتشنيلا : وماذا تريد منى ؟ مالا ؟ أليس كذلك ؟ سنلتقى مرة أخرى ولدينا متسع من الوقت وليس هنا مكان الحديث .

كرسبين : لا ترتعد فرائصك خوفاً على مالك ؛ كل ما أريده أن أكون صديقك وحليفك كما فى ذلك الزمان .

بلتشنيلا : وماذا أستطيع أن أفعل لك ؟

كرسبين : لاشىء ، الآن أنا الذى سأخدمك وأقدم لك معروفا ، ومعروفى أن أحذرك . . . (يشير عليه لينظر ناحية الباب الأول على اليمين .) ألا ترى ابنتك كيف تراقص شابا وكيف تبتسم وقد احمر وجهها خجلا وهى تسمع كلماته الرقيقة ؟ هذا الشاب سيدى ..

بلتشنيلا : سيدك ؟ لعله إذاً مغامر ، شخص من ذوى الثراء ، قاطع طريق مثل ...

كرسين : مثلنا ؟ ... تريد أن تقول . كلا ؟ إنه أشد منا خطرا ، لأنه — كما تراه — جميل الطلعة ؛ فى نظرته غموض وسحر يأخذ بالألباب ، وفى صوته حلاوة بحيث يصل إلى القلب ويحركه كما لو كان قصة حزينة ؛ ألا يكفى هذا ليوقع فى شباكه أية امرأة؟ ليس لك أن تقول إنى لم أحذرك ؛ فاذهب وافصل ابنتك عن هذا الرجل ولا تأذن لها بأن تراقصه وتعود إلى سماع صوته فى حياتها .

بلتشنيلا . وتقول إنه سيدك وأنت تخدمه على هذه الصورة ؟ !

كرسين : أتستغرب ذلك ؟ أتنسى حين كنت خادما ؟ ومع ذلك فأنا لا أفكر فى قتله .

بلتشنيلا : حسنا ماتقول ، فالسيد دائما شخص حقود ؛ ولكن قل لى : ما مصلحتك فى خدمتى ؟

كرسين : الوصول إلى بر السلامة كما كنا نصل بعد أن كنا نجدف معا ؛ لقد كنت تقول لى أحيانا : جدف بدلا منى فأنت أشد منى قوة ... وفى سفينة السجن فى ساعتنا هذه أنت أشد منى قوة . فجدف بدلا منى من أجل الصديق الوفى ، صديق ذلك الزمان ؛ فالحياة سفينة ثقيلة على المسجونين وقد تعبت من التجديف طـــويلا .

المشهد الثامن

السنيور بلتشنيلا ودنيا سرينا وسنيورا بلتشنيلا ورسيلا ولورا .

على اليمين . يخرجون جميعا من الباب الأول

لورا : دنيا سرينا وحدها هي التي تعرف كيف تقام الحفلات .

رسيلا : ولكن حفلة هذه الليلة فاقت كل حفلة .

سرينا : وكان حضور هذا السيد الفريد حدثا جديداً أضاف إلى الحفلة بهاء وروعة .

بلتشنيلا : وسلفيا ؟ أين هي ؟ كيف تركت ابنتنا ؟

سرينا : أسكت ياسنيور بلتشنيلا فابنتك فى صحبة رائعة ، وهى فى منزلى لاخوف عليها .

لورا : ذلك عندها كل ماتطيب به نفسها .

رسيلا : وكل زفرات الحب !

بلتشنيلا : عن ؟ من هذا السيد الغامض ؟ فهذا مالا أرضاه ، سأذهب من فورى ...

سرينا : ولكن ياسنيور بلتشنيلا !

بلتشنيلا : دعيني ! فأنا أعرف ماذا أ (ينصرف من الباب الأول على اليمين)

سرينا : ترى ماذا حدث له ؟ ما هذا الاضطراب الذى يبدو عليه .

سنيورا بلتشنيلا : انظرى أى رجل هذا . قد لا يتورع عن أن يأتى بأمر معيب مع هذا السيد ! لا بد أن يزوج ابنته من تاجر أيا كان أو إنسان من طبقة وضيعة ! لا بد أن يورثها الشقاء طوال حياتها !

سرينا : أما هذا فلا ! . . . فأنت أمها وسلطتك لا بد أن تكون لها قيمة ما . . .

سنيورا بلتشنيلا : انظرى . لا شك فى أنه نطق بحماقة من حماقاته ، فالسيد يترك يد سلفيا وينسحب وقد طأطأ رأسه .

لورا : والظاهر أن السنيور بلتشنيلا يوبخ ابنته . . .

سرينا : هيا بنا . هيا لنذهب فلا أستطيع أن أقر مثل هذا الطغيان .

رسيلا : الآن ندرك يا سنيورا بلتشنيلا أنك مع كل ثروتك لست بأقل من غيرك شقاء وتعاسة .

سنيورا بلتشنيلا : أنتن لا تعرفن شيئا ، فقد بلغ به الأمر أحيانا أن ضربني .

لورا : ماذا تقولين ؟ وكنت امرأة لتقرى ذلك ؟

سنيورا بلتشنيلا : ثم يعتقد أنه يصلح الخطأ بإحضار هدية لى .

سرينا : لا بأس ! فهناك أزواج لا يصلحون الخطأ (ينصرفون جميعا من الباب الأول على الشمال) .

المشهد التاسع

ليندرو وكرسبين يخرجان من الباب الثانى على اليمين .

كرسبين : ترى أى حزن وأى انقباض اعتراني ؟ ما أشد فرحى حين خطر ببالى العثور عليك !

ليندرو : لم أرانى ضائعا إلا منذ هذه الساعة ، ولم يكن يهمنى أن أفقد نفسى إلا فى هذه الساعة . الفرار يا كرسبين ، الفرار من هذه المدينة قبل أن يكشف أمرنا أحد ونعرف من نحن .

كرسبين : إذا لذنا الآن بالفرار فسنفر والكل يعرفون ذلك ، وسيتبعنا الكثيرون حتى يمسكوا بنا ثم يعيدونا إلى شقائنا ؛ ولا يليق أن نذهب على هذه الصورة وليس فيها شىء من الذوق ، نمضى دون أن نودع قوما كانوا معنا غاية فى الحفاوة .

ليندرو : لا تسخر يا كرسبين فأنا يائس .

كرسبين : أأنت كذلك وآمالنا تهيء لنا سبيلا خيرا مما عرفنا من قبل .

ليندرو : ماذا أرجو ؟ أردت منى أن أتظاهر بالحب ، فأحسست بالشر من التظاهر به .

كرسبين : ولم ؟

ليندرو : لأنى أحب . أحب حقيقة وبكل روحى .

كرسبين : تحب سلفيا ؟ ولهذا تأسف ؟

ليندرو : لم يدر بخلدى قط أنه يمكن للمرء أن يحب على هذه الصورة ! ولم أكن أظن قط أنى سأحب ! وفى حياتى التى قضيتها وأنا أجوب المدن والطرقات لم أكن الذى يمشى بل الذى يفر ؛ عدوته الأرض ؛ وأعداؤه الناس ، وعدوه ضياء الشمس ؛ ولقد كنت آخذ الثمرة الملقاة فى الطريق خلسة وغصبا دون أن أعطاها فربما تركت فى شفتى شيئا يشبه طعم الحب ؛ وأحيانا كنت أمشى أياما كثيرة على غير هدى ثم أنظر فإذا جلال السماء فى هدأة الليل يفضى بى إلى أن أحلم بشىء أرجو أن يكون فى حياتى ، شىء كسماء الليل تبث فى نفسى هدوء جلالها ؛ وكذلك كانت هذه الليلة فى بهجة الحفل . . . بدت لى كأنها واحة فى حياتى . . . ورحت أستسلم للرؤى والأحلام . . . حلمت ! ولكن غدا . . . الفرار على غير هدى ، فالعدالة تتعقبنا . . . ولا أريد أن أكون هنا حيث هى مقيمة ، حيث قد تخجل من أنها رأتنى .

كرسبين : ظننت أنك وقعت فى شراك الحب وأنت راض . . . ولم أكن أنا الذى أدركت هذا وحدى ، فقد أفاضت

في إطرائك والثناء عليك دنيا سرينا وأصدقاء الكابتن والشاعر ؛ وكنت عند أمها العزيزة سنيورا بلتشنيلا التي لا تحلم إلا بأن تزوج ابنتها لسيد نبيل ، صهر أحلامها ، أما السنيور بلتشنيلا . . . .

لیندرو : يشك فينا . . . يعرفنا . . .

کرسبين : نعم ، فليس من السهل مخاتلة السنيور بلتشنيلا وخداعه كما يخدع عامة الناس ، فثعلب عجوز مثله لابد من خداعته بإخلاص ، ولهذا رأيت أن خير وسيلة إحاطته علما بكل شيء .

لیندرو : كيف ؟

کرسبين : نعم ؛ فهو يعرفني منذ زمان . . . ولما قلت له إنك سيدي ظن ، وكان على حق ، أن السيد ليس جديراً بالخادم ، فما كان مني لأقابل ثقته بمثلها إلا أن أحذره من كلامك مع ابنته .

لیندرو : فعلت ذلك ؟ وما الذي أنتظره ؟

کرسبين : أنت مغفل ! فالسنيور بلتشنيلا سيجعل كل همه في ألا تعود إلى رؤية ابنته .

لیندرو : لا أفهم !.

کرسبين : وبهذا سيكون خير حليف لنا لأنه يكفي أن يعارض لتكون امرأته حربا عليه ، ولتهيم بك ابنته بجنون ؛

أنت لا تعرف حقيقة شابة ، بنت رجل غنى ، ربيت فى أحضان النعمة ، ترى لأول مرة فى حياتها معارضة لرغبتها . إنى متأكد من أنها فى هذه الليلة بالذات ستتمكن قبل أن ينتهى الحفل من السخرية برقابة أبيها لتستأنف الحديث معك .

ليندرو : ولكن ألا ترى أنه لا يهمنى السنيور بلتشنيلا ولا العالم أجمع ؟ فنى نظرها وفى نظرها وحدها لا أريد أن أظهر بمظهر الممتهن الحقير . . . فى نظر من لا أريد أن أكذب عليها .

كرسبين : باه — دعك من هذه الحماقات . لا سبيل إلى التقهقر . فكر فى المصير الذى ينتظرنا إذا ترددنا فى مواصلة التقدم . هل أحببت ؟ فهذا الحب الحقيق سينفعنا أكثر مما لو كان حبا ظاهريا . لعله لو كان الأمر على صورة أخرى لاندفعت اندفاعا ؛ وإذا كانت الجرأة والوقاحة تصلحان لكل شىء ففى الحب لا شىء أصلح للرجال من بعض الخوف ، فخوف الرجل يجعل النساء أشد جرأة ؛ وإن كنت فى شك من هذا فهذه سلفيا البريئة تصل إلى هنا رغم الرقابة الشديدة ، وإنما تنتظر لتقترب منك ، وسأعود أدراجى أو أختفى .

ليندرو : تقول سلفيا ؟

كرسبين : اسكت وإلا ارتاعت . وحين تكون بجنبك فالزم الهدوء والرزانة . . . كلمات قليلة . . . اعبد ، تأمل ، واعجب . وليكن الذى يتكلم على لسانك سحر هذه الليلة الزرقاء الجديرة بالحب ، وهذه الموسيقى التى تنطلق أنغامها بين الأشجار ، وتجيء كالحزينة من بهجة الحفلة .

ليندرو : لا تسخر يا كرسبين . لا تسخر من الحب الذى سيكون فيه موتى .

كرسبين : ولم أسخر ؟ إنى أعلم أن الطيران على الأرض شىء لا يليق فى كل الأحوال ، ولابد أحيانا من الطيران فى السماء للتحكم فى الأرض ، فطر أنت الآن فى السماء ، وأنا أطير فى الأرض وسيكون العالم لنا !

(يخرج من الباب الثانى على اليمين)

المشهد الأخير

ليندرو ثم سلفيا التى تخرج من الباب الأول على الشمال ، وأخيراً كرسبين .

ليندرو : سلفيا !

سلفيا : أنت ؟ عفوا . لم أكن أظن أنك هنا .

لیندرو : هربت من الحفل . بهجته تبعث الحزن فی نفسی .

سلفیا : فی نفسك أیضاً ؟

لیندرو : تقولین أیضاً ؟ وأنت أیضا تحزنك البهجة ! . .

سلفیا : لقد غضب أبی علی ، لم یكلمنی علی نحو ما كلمنی اللیلة ، ثم هو لم یعرك اهتماماً ، أتغفر له ؟

لیندرو : نعم . أغفر له كل شیء ؛ ولكن لا تغضبی من أجلی ؛ عودی إلی الحفل فسیبحثون عنك ، ولو وجدوك هناك بجنبی . . .

سلفیا : أنت علی حق ، ولكن عد أنت أیضا . . لماذا تحزن ؟

لیندرو : كلا . سأخرج دون أن یلحظ أحد ، یجب أن أذهب بعیدا .

سلفیا : ماذا تقول ؟ ألم تأت بك إلی هذه المدینة أمور هامة ؟ ألا یجب أن تبقی هنا طویلا ؟

لیندرو : لا لا ! لن أبقی یوما واحدا ، یوما واحدا أكثر مما بقیت .

سلفیا : إذاً . . . كذبت علی ؟

لیندرو : كذبت . . . لا . . . لا تقولی إنی كذبت . . لا . إنها الحقیقة الوحیدة فی حیاتی . . هذا الحلم الذی لا ینبغی أن یستیقظ المرء منه (تسمع من بعید موسیقی أغنیة تظل تتردد إلی أن یهبط الستار)

سلفيا : أرلكين هو الذى يغنى . . ماذا حدث لك ؟ أتبكى ؟
أهى الموسيقى التى تبكيك ؟ لم لا تتحدث عن حزنك ؟

ليندرو : حزنى ؟ تتحدث عنه هذه الأغنية . استمعى لها .

سلفيا : من هنا فقط يمكن إدراك الموسيقى ، أما الكلمات
فتضيع وتذهب ؛ ألا تعرفها ؟ إنها أغنية لسكون الليل
اسمها ، مليكة الأرواح ، لا تعرفها ؟

ليندرو : قوليها . . .

سلفيا : نشرت ليلة الحب من سمائها
لواء الحب على المحبين
ونثرت ماساتها الوضاءة
فى مخمل سماه من سماوات الصيف
ليس للبستان فى الظل ألوان
وفى سر ظلامه
تخف الأوراق وتعبق الأزهار
والحب . . . رغبة حلوة فى البكاء
الصوت الذى يزفر والصوت الذى يغنى
والصوت الذى يردد كلمات الحب
كلها كالمعصية فى الليلة المقدسة
وكاللغو ساعة الصلاة
يا روح السكون الذى أوقره

لسكونك صوت معصوم
صوت الذين ماتوا وهم يحبون فى صمت
والذين سكتوا وهم يموتون من الحب
والذين لم يحسنوا التعبير عن الحب
لأنهم أحبونا كثيرا فى الحياة
أليس ما أستمع له ليلا هو الصوت ؟
وحين يتكلم الحب يتكلم الخلود
يا أم روحى ! أليس ضياء عينيك
ضياء هذه النجمة
وكأنها دمعة الحب اللانهائى
ترتجف فى الليل
قولى لمن أحب اليوم إننى لم أحب قط
أحدا سواك فى الوجود
ومنذ مت لم يقبلنى
إلا ضوء هذه النجمة .

ليندرو : ياأم روحى ! لم أحب قط
أحدا سواك فى الوجود
ومنذ مت لم يقبلنى
إلا ضوء هذه النجمة

(يعروهما الصمت ويتعانقان وكل منهما ينظر إلى الآخر) .

كرسبين : (يظهر من الباب الثانى على الشمال وهو يتكلم وحده) .

الليل والشعر وجنون الحب !

كل ذلك ينفعنا فى هذا المجال !

النصر لا شك فيه . فالشجاعة والتقدم !

من يقدر على هزيمتنا والحب ملك لنا !

(سلفيا وليندرو وهما متعانقان يتوجهان على مهل إلى الباب الأول على اليمين ، ويتبعهما كرسبين دون أن يرياه ، ويهبط الستار فى بطء شديد جدا) .

نهاية الفصل الأول

الفصل الثانى .

المنظر الثالث

قاعة فى منزل ليندرو

المشهد الأول

كرسبين والكابتن وأرلكين يخرجون من الباب الثانى على الشمال أى من الممر .

كرسبين : ادخلا أيها السيدان وتفضلا فاجلسا . هل تسمحان لى بأن أطلب لكما شيئا ؟ . . أهلا أهلا ومرحبا !

الكابتن : لا نريد شيئا بأى حال من الأحوال .

أرلكين : كل ما أتينا من أجله أن نقابل سيدك بعد الذى عرفناه .

الكابتن : خيانة لا تكاد تصدق أن يظل من غير عقاب ؛ أؤكد لك أن السنيور بلتشنيلا فى متناول يدى . . !

أرلكين : هنا ميزة الشعراء ! فهو دائما فى متناول شعرى . ويله من الهجاء المقذع الذى أفكر فى أن أهجوه به . . عجوز مفسد ، عجوز ملعون !

الكابتن : وتقول إن سيدك لم يصب بجراح ؟

كرسبين : ولكن كان من الممكن أن يقتل . أصغيا إلى . اثنا عشر من الأشرار الذين يحسنون الضرب بالسيف هجموا عليه دفعة واحدة على حين غرة ، ولكن بفضل شجاعته وبراعته وصياحى . .

أرلكين : وهذا حدث ليلا حين كان سيدك يتحدث إلى سلفيا من سور الحديقة ؟

كرسبين : كان سيدى قد أدرك ما هنالك . . ولكنكما لا تعرفانه ، فليس بالرجل الذى يخيفه شيء .

الكابتن : ولكن كان يجب عليه أن يخبرنا . .

أرلكين : كان يجب عليه أن يخبر الكابتن ، ولو فعل لرافقه بكل سرور .

كرسبين : تعرفان سيدى فهو وحده يكفى .

الكابتن : وتقول إنك تمكنت أخيراً من أن تمسك بعنق أحد هؤلاء الأشقياء ، واعترف بأن كل شيء دبره السنيور بلتشنيلا ليتخلص من سيدك ؟ . .

كرسبين : ولمن مصلحة فى هذا إلا هو ؟ فابنته تحب سيدى ، وهو يسعى فى تزويجها بمن يشاء ، وسيدى يفسد عليه خططه ؛ ثم السنيور بلتشنيلا عرف طوال حياته كيف يزيل العقبات . ألم يترمل مرتين فى زمن قصير ؟ ألم يرث فى زمن أقصر ميراث أقربائه جميعا شيبا

وشبابا ؟ كل الناس يعرفون ذلك ، فلن يقول أحد إنى أغتابه . . آه إن غنى السنيور بلتشنيلا سبة للإنسانية والعدالة ، ولا ينجو ويفلت من العقاب رجل كالسنيور بلتشنيلا إلا إن كان بين أناس لا شرف لهم ولا كرامة .

أرلكين : حقا ما قلت ، وسأذكر فى الهجاء الذى أضعه كل هذا . . طبعا دون أن أذكر اسمه ، فالشعر لا يجوز أن يترخص فيه إلى هذا الحد .

كرسبين : يكفيه ما أهمه من هجائك إياه !

الكابتن : دعنى دعنى أنا فسيكون فى متناول يدى . . ولكنى على يقين من أنه لن يأتى للبحث عنى .

كرسبين : ولن يوافق سيدى على أن يهان السنيور بلتشنيلا فهو قبل كل شىء أبو سلفيا ؛ والمهم أن يعرف كل من فى المدينة أن سيدى كان على وشك أن يقتل ، وأنه لا يجوز أن يحول هذا الثعلب العجوز دون رغبة ابنته ودون قلبها .

أرلكين : لا يجوز ، فالحب فوق كل شىء .

كرسبين : ولو أن سيدى كان إنساناً وضيعا . . ولكن خبرانى : أليس السنيور بلتشنيلا هو الذى يجدر به أن يفخر بأن سيدى تفضل بحب ابنته وبقبوله صهراً له ؟

سيدى الذى ازدرى كثيراً من الأنسات ذوات الحسب الرفيع والذى من أجله ارتكبت أربع أميرات أربعة آلاف حماقة ! ولكن من القادم ؟ (ينظر ناحية الباب الثانى على الشمال) آه . كلمبينا . ادخلى أيتها الظريفة . لا تخافى ! (تخرج كلمبينا) كلنا أصدقاء ، وصداقتنا المتبادلة تحمينا من إعجابنا جميعا بك.

المشهد الثانى

كلمبينا تخرج من الباب الثانى على اليمين

كلمبينا : لقد أرسلتنى دنيا سرينا لأعرف حال سيدك . لم يكد يطلع النهار حتى جاءت سلفيا إلى منزلنا وروت لسيدتى كل ما حدث ، وتقول إنها لن تعود إلى منزل أبيها ، ولن تخرج من منزل سيدتى إلا لتكون زوجة للسنيور ليندرو .

كرسبين : هذا ما تقول ؟ أوه . يالها من فتاة نبيلة ، وياله من قلب محب !

ﻫﺎرلكين . لن يكون هناك أروع من التهنئة الشعرية التى أفكر فى نظمها احتفالا بعرسها !

كلبينا . وتعتقد سلفيا أن ليندرو قد نالته جراح شديدة . . . وهى سمعت وهى فى الشرفة صليل السيوف ،

وصراخك فى طلب النجدة ، وسقطت بعد ذلك وقد فقدت وعيها ، ووجدوها فى الصباح وهى على هذه الصورة ! خبرنى بشىء عن السنيور فستموت هما إذا هى لم تعرف حاله ، وسيدتى أيضاً قلقة مهمومة .

كرسبين : قولى لها إن سيدى نجا لأن الحب كان يحرسه ، قولى لها إن الحب وحده يموت من جرح لا يندمل ... قولى لها (يقبل ليندور فينظر إليه وهو قادم) آه ! ولكن ها هو يصل بنفسه وسيخبرك بكل ما أستطيع أن أخبرك به .

المشهد الثالث

ليندرو يخرج من الباب الأول على اليمين

الكابتن : (يعانقه) صديق !

أرلكين : (يعانقه) صديق وسيدى !

كلمبينا : آه ياسنيور ليندرو ، أنت بخير : ما أشد فرحى !

ليندرو : كيف عرفت ...

كلمبينا : لا حديث للناس فى المدينة إلا هذا ، يجتمعون فى الشوارع حلقات وكلهم يسبون السنيور بلتشنيلا .

ليندرو : وإذا عاد إلى ما حاوله من قبل من التحريض عليك . !

أرلكين : وحتى إذا عارض فى حبك ؟

كلمبينا : لن يكون لذلك جدوى ؛ فسلفيا فى منزل سيدتى ولن تخرج من هناك إلا وهى زوجة لك . . .

ليندرو : سلفيا فى منزلك ؟ وأبوها . . .

كلمبينا : خير للسنيور بانتشنيلا أن يختفى .

الكابتن : ظن أنه بغناه يستطيع أن يقدم على أمر خطير كالذى فكر فيه ، وقح .

أرلكين : لقد أقدم على كل شىء . ولكن لا على الحب . . .

كلمبينا : أراد أن يغتالك بنذالة !

كرسبين : اثنا عشر رجلا بأيديهم السيوف ، اثنا عشر . . . لقد أحصيتهم !

ليندرو : كل ما استطعت أن أتبينه ثلاثة أو أربعة .

كرسبين : إن سيدى لايريد أن يبالغ فى تصوير الخطر حتى لا يباهى بثباته وشجاعته . . . ولكننى رأيتهم ! كانوا اثنى عشر رجلا مدججين بالسلاح وطنوا أنفسهم على كل شىء ، وكان يخيل إلى أن من المستحيل أن ينجو بحياته !

كلمبينا : سأسرع لأهدىء من روع سلفيا وسيدتى .

كرسبين : اسمعى يا كلمبينا . أليس الأفضل ألا تهدئى سلفيا ؟ .

كلمبينا : فلأترك ذلك لسيدتى ؛ وسلفيا تعتقد فى هذه الساعة أن سيدك يحتضر ، ومع أن دنيا ميريتا تتظاهر

بتهديدها . . . إلا أنها لن تتأخر فى الحضور إلى هنا دون تردد .

كرسبين : ما كان أكثر المشاكل لو لم تهتم سيدتك بكل شيء .

الكابتن : هيا فلنذهب أيضـــاً فلا داعى لنا هنا ؛ والذى يهم الآن هـو العمل على أن يستمر سخط الناس على السنيور بلتشنيلا .

أرلكين : سنقذف منزله بالحجارة . . . سنؤلب المدينة كلهـا عليه . . . فليعلم أنه إذا لم يكن أحد قد جرؤ عليه حتى الآن فإننا جميعا نجرؤ عليه ، وليعلم أن فى الجماهير روحا ووعيا .

كلمبينا : سيضطر هو بنفسه إلى الحضور إليك يرجوك أن تأخذ ابنته زوجة لك .

كرسبين : بلى بلى ! أسرعوا أيها الأصدقاء وأدركوا أن حياة سيدى ليست فى أمان . . . والذى أراد أن يغتاله مرة لن يوقفه شيء .

الكابتن : لا تخف . . . يا صديق !

أرلكين : صديق وسيدى !

كلمبينا : سنيور ليندرو !

ليندرو : شكرا لكم جميعا يا أصدقائى الأوفياء (يذهبون جميعا ما عدا ليندرو و كرسبين من الباب الثانى على اليمين) .

المشهد الرابع

ليندرو وكرسبين .

ليندرو : ما هذا يا كرسبين ؟ ماذا تريد ؟ أين تذهب بي بحبائلك وشباكك ؟ أتظن أني صدقته ؟ أنت الذى اختلقت قصة أصحاب السيوف ، وكله كان من اختراعك ، وما كنت لأستطيع أن أدافع عن نفسى وهم على جميعا لولا أن مجيئهم كان أمراً لا حقيقة له !

كرسبين : وتقدر على توبيخى وأنا أسعى لتبلغ آمالك ؟

ليندرو : كلا يا كرسبين كلا ! وأنت خير من يعلم أنه كلا ! أحب سلفيا ولن أصل إلى حبها بالخداع وليكن ما يكون .

كرسبين : أنت تعلم ما يترتب على ذلك . . . وإذا كان الحب هو التسليم بفقدان ما يحبه المرء استجابة لحدة الضمير ودقته . . . فسلفيا نفسها لن تشكرك على ذلك !

ليندرو : ما تقول ؟ لو عرفت من أنا !

كرسبين : وحين تعرفه لن تكون الذى كنته ؛ وإنما ستكون زوجها الحبيب ، كله الحب والإخلاص والنبل الذى تريده وترغب فيه . . . وأنت إذ تصبح مالك حبها . . . ومالها ، ألن تصير عند ذاك أكمل سيد ؟ أنت لست كالسنيور بلتشنيلا فهو مع كل ما معه من مال يتيح له

كثيرا من ألوان الترف، لم يتهيأ له من الترف أن يكون رجلا شريفا . . . فالصعلكة طبيعة فيه ولكنها فيك أنت ضرورة ؛ ولولا أنى معك وبجانبك لتركت نفسك تموت جوعا لمجرد التورع والحذر الشديد . آه ! أتظن أنى لو كنت وجدت فيك رجلا آخر كنت رضيت بأن أوجهك إلى الحب ؟ . . . كلا . كنت وجهتك إلى السياسة لا إلى مال السنيور بلتشنيلا ولكان العالم حينئذ ملكا لنا . . . ولكنك لست بذى أطماع ، وإنما ترضى بأن تكون سعيدا .

لیندرو : ولكن ألا ترى أنى لا أحسن أن أكون كذلك ؟ لو كنت كذبت لأظفر بحبها إياى وأنال الغنى فى هذا العالم لكان ذلك لأنى لا أحب ، ولما حسنت لى السعادة ، وإن كنت أحب فكيف أكذب ؟

كرسبين : إذاً لا تكذب . أحب . أحب من كل قلبك حبا كثيرا ، ولكن احم قلبك قبل كل شىء ؛ وليس من الكذب فى الحب السكوت على ما قد يفضى بنا إلى أن نفقد تقدير المحبوب .

ليندور : أما هذه فنعم دقة يا كرسبين .

كرسبين : كان ينبغى لك أن تهتدى إلى ذلك لو أن حبك كان كما تقول وتصف ، فالحب حذق ودقة كله ، وليس

أعظم ما فى هـذا الخلق خداع الغير بل خداع المرء لنفسه .

ليندرو : أنا لا أستطيع أن أخدع نفسى يا كرسبين ؛ فلست من أولئك الذين متى باعوا ضميرهم ظنوا أن من الممكن أن يبيعوا أيضا فهمهم .

كرسبين : ولهذا قلت إنك لا تصلح للسياسة ، وقد أحسنت فى قولك ، فالفهم ضمير الحقيقة ، والذى يبلغ به الأمر إلى أن يضيعه بين أكاذيب حياته كالذى يضيع نفسه لأنه لن يجد نفسه ولن يعرفها بعد ذلك وسيكون هو ذاته أكذوبة كبرى .

ليندرو : أين تعلمت كل هذه الأشياء يا كرسبين ؟

كرسبين : تأملت زمانا وأنا فى سفينة السجن فكشف لى إدراكى للأمور أنى كنت أبله أكثر منى شيطانا ، فبشيطنة أكثر وبلاهة أقل كان يمكننى أن أصل إلى السيطرة عليها بدلا من معاناة التجديف فيها ، ولهذا أقسمت ألا أعود إليها فى حياتى . . . فانظر فيما كنت سأقدم عليه فى هـذه اللحظة وقد كدت أحنث فيها بيمينى من أجلك .

ليندرو : ماذا تقول ؟

كرسبين : أقول إن حالتنا أصبحت لا تطاق ، فقد استنفدنا كل ما لدينا من حيلة ، وأخذ الناس يطلبون منا شيئا له

قيمة ، فصاحب الخان وقد آوانا أياما كثيرة وأضفى علينا كل مظاهر الحفاوة ينتظر أن يقبض شيئا ، والسنيور بنتلون وقد وثق فى ضمان صاحب الخان أمدنا بكل ما نحتاج إليه لنقيم فى هذا المنزل تحيط بنا مظاهر الأبهة والفخامة . . . وهنالك طوائف التجار الذين لم يترددوا فى أن يزودونا بما نريد وقد بهرهم ما نحن فيه من عظمة ؛ ودنيا سرينا نفسها وقد بذلت مساعيها الحميدة فى سبيل حبك . . . كلهم ينتظرون الشيء المعقول ؛ ومن الإجحاف أن يرجو المرء منهم أكثر مما فعلوا ويشكو من قوم كانوا غاية فى اللطف والرقة . . إن اسم هذه المدينة الجليلة سيظل منقوشا فى قلبي بأحرف من ذهب ، وأعلن منذ اليوم أنى اتخذتها وطنا ! ومع ذلك أنسيت أنا لو كنا فى مكان آخر لخرج الناس فى أثرنا يتعقبوننا ؟ أتظن أن مغامرات مانتوا وفلورنسه مما ينسى ؟ أتذكر قضية بولونيا . . لقد بلغت أوراقها ثلاثة آلاف ومائتى ورقة حين ذهبنا وقد استولى علينا الفزع من رؤيتها تزداد بصورة لا حد لها . وكيف لا تزيد وتتضخم ويجرى بها قلم ذلك الفقيه العالم الكبير الذى أخذها على عاتقه ؟ كم من الحيثيات والأحكام بأنه لن يكون

فيها شيء من الخير ؟ ولا تراك تشك وتعنفنى وتعاتبنى لأنى بدأت المعركة التى يمكن أن تقرر مصيرنا فى يوم من الأيام ؟

ليندرو : فلنفر !

كرسبين : كلا ! حسبنا فراراً ونحن فى يأس ! فاليوم يجب أن تنال الثروة . . لقد أعطيتك الحب فأعطنى الحياة .

ليندرو : ولكن كيف ننجو ؟ ماذا أستطيع أن أفعل ؟ قل لى .

كرسبين : لا شيء ، ويكفينا أن نقبل ما يهبه لنا الغير . . لا تنس أننا خلقنا مصالح كثيرة ، ومن مصلحة الجميع أن ننجو .

المشهد الخامس

دنيا سرينا تخرج من الباب الأيمن أى الممر .

سرينا : هل تأذن يا سنيور ليندرو ؟

ليندرو : دنيا سرينا ! أنت فى بيتى ؟

سرينا : تعرف ما قد أتعرض له ، فكم هنالك من ألسنة السوء ، وأنا فى منزل سيد شاب وجيه !

كرسبين : سيدى يعرف كيف يخرس ألسنة السوء لو جرؤ أحد أن ينال من سمعتك الرفيعة .

سرينا : سيدك ؟ لا أثق فى ذلك ، فالرجال فيهم فخر وادعاء ، ولكنى لا أتردد فى خدمته . أتقول يا سنيور إنهم

أرادوا الليلة الماضية أن يقتلوك ؟ لا حديث للناس غير هذا . . وسلفيا المسكينة ! كم هي تحبك ! تريد أن تعرف ماذا فعلت حتى صارت تحبك على هذا النحو !

كرسبين : إن سيدى يعلم أن الفضل كله يرجع إلى صداقتك .

سرينا : لن أقول إنه يدين لى بالشىء الكثير . . ولقد تحدثت عنه دائما وبالغت على نحو ما كان ينبغى دون أن أعرفه معرفة كافية . . وأقدمت على أشياء كثيرة من أجل حبك ، وإذا لم تف بوعودك . .

كرسبين : تشكين فى سيدى . أليس معك ورقة ممضاة ؟

سرينا : يد كريمة واسم كريم . أتظن أننا لا يعرف بعضنا بعضا ؟ إنى أعرف كيف أطمئن وأثق ، وأعرف أن السنيور ليندرو سيفى بوعده كما ينبغى ، ولكن لو علمت أن اليوم يوم عصيب بالنسبة لى ، فلو ظفرت اليوم بنصف ما عرض على لتنازلت راضية عن النصف الآخر . . .

كرسبين : اليوم تقولين ؟

سرينا : يوم هموم وشجون ؛ قد اكتملت فيه الأحزان . ففى مثل هذا اليوم أيضاً فقدت منذ عشرين عاماً زوجى الثانى وكان الحبيب الأول والأوحد فى حياتى .

كرسبين : ولعل هذا القول ينطبق على الزوج الأول .

سرينا : الزوج الأول فرضه عليّ أبي ، فلم أكن أحبه ، ومع ذلك عرفت كيف أكون وفية له .

كرسبين : وأي شيء لا تعرفينه يادنيا سرينا ؟

سرينا : لندع الذكريات فكلها تبعث في النفس الأسى ، ولكن حديثنا عن الآمال ، أتعلم أن سلفيا كانت تريد أن تأتي معي ؟

ليندرو : هنا في هذا البيت ؟

سرينا : وماذا تظن في ذلك ؟ ترى ماذا سيقول السنيور بلتشنيلا ؟ أما والمدينة كلها ساخطة عليه فسيرغم على تزويجكما إرغاماً !

ليندرو : كلا كلا . امنعيها من أن تأتي .

كرسبين : ولكن ! تعلمين أن سيدي لا يقول ما يحس به .

سرينا : أعلم . . ما الذي سيعطيه في سبيل أن يرى سلفيا بجنبه لا ينفصل عنها ؟

كرسبين : ما الذي يعطيه ؟ ألا تعلمين !

سرينا : ولهذا أسأل .

كرسبين : آه يادنيا سرينا . . . لو أن سيدي أصبح اليوم زوجاً لسلفيا لأنجز اليوم بالذات ما وعدك به .

سرينا : ولو لم يصبح ؟

كرسبين : إذاً . . لفقدت كل شيء ، وانظري فيما يروقك

ليندرو : اسكت يا كرسبين ! حسبك ! حسبك ! لا أوافق على أن ينظر إلى حبي كأنه بضاعة ؛ اخرجي يا دنيا سرينا ، قولي لسلفيا فلتعد إلى منزل أبيها ولا تأتي هنا بأي حال ، ولتنس إلى الأبد ، فسأفر إلى حيث لا تعرف اسمي .. اسمي ! تُرى أليَ اسم ؟

كرسبين . ألا تسكت ؟

سرينا : ماذا حدث له ؟ ما هذا الجنون ؟ تتقهقر وتترك على هذا النحو حظا عظيما . . . والأمر لا يتعلق بك وحدك ، فاذكر أن هناك من اتكل في كل شيء على الحظ الذي ستناله ؛ وليس لك أن تسخر على هذا الوجه من سيدة رفيعة المكانة ، عرضت نفسها لأشياء كثيرة في سبيل خدمتك . لن تقدم على هذه الحماقة ، وإنما ستتزوج سلفيا وإلا فسيكون هناك من يعرف كيف يحاسبك على خداعك وغشك فلست وحدي في العالم كما تظن يا سنيور ليندرو .

كرسبين : دنيا سرينا على حق ؛ ولكن اعلمي أن سيدي لا يقول هذا إلا لأنك تسيئين إليه بعدم ثقتك فيه .

سرينا : ليست المسألة عدم الثقة فيه ، إنما المسألة — ولا بد أن أقول كل شيء — هي أن السنيور بلتشنيلا ليس رجلا ساذجا يخدع ويسخر الناس منه . . . وإزاء

الضجة التى أثرتها فى الليلة الماضية عليه بالخطة التى أحكمتها فى الليلة الماضية . . .

كرسبين : تقولين خطة ؟

سرينا : أوه ! كلانا يفهم الآخر . ألا تعلم أن أحد السفا كين من أقربائى ، والآخرون أيضاً لى بهم صلة وثيقة . . . والسنيور بلتشنيلا أدرك الأمر ، وانتشرت الإشاعات فى المدينة بأنه بلغ سلطات العدالة من أتيما وكيف يمكن معاقبتكما ؛ ويقال أيضاً إنه وصل اليوم إلى المدينة محضر من بولونيا . . .

كرسبين : ومعه محقق شيطان ! ثلاثة آلاف وتسعمائة ورقة .

سرينا : كل هذا يقوله الناس ويؤكدونه ، فانظر الآن إن كان يهم كسب الوقت أو لا يهم .

كرسبين : ومن يضيع الوقت ويسرف فيه إلا أنت ، عودى إلى منزلك وقولى لسلفيا . . .

سرينا : سلفيا هنا ؛ جاءت مع كلبينا كوصيفة أخرى من وصيفاتى ، وهى تنتظر فى القاعة ، لقد قلت لها إنك أصبت بجرح شديد . . .

ليندرو : أوه يا سلفيا !

سرينا : كل ما أهمها أنها كانت تخشى عليك أن تموت ... ولم تهمها المخاطر التى تعرضت لها من جراء مجيئها لرؤيتك . ألست صديقتك ؟

كرسبين : إنك عظيمة . أسرع ، نم هنا وتظاهر بالألم والمرض ، وأنا أعرف كيف أجعلك كذلك فعلا ، إن كنت ترى أنه لا بد منه (يتهدده ويرغمه على الجلوس على كرسى) .

ليندرو : نعم . أنا طوع أمركما . أعلم ذلك وأراه . . . ولكن سلفيا لن تكون كذلك . قولا لها لتأتى فلا بد من أن أنقذها على الرغم منكما ، على الرغم من الناس جميعا ، وعلى الرغم منها أيضاً .

كرسبين : تعلمين أن سيدى لا يحس بما يقول .

سرينا : ما كنت أظنه مغفلا وأحمق على هذه الصورة . تعال معى (تمضى مع كرسبين من الباب الثانى على اليمين أى الممر) .

المشهد السادس

ليندرو ثم سلفيا التى تخرج من الباب الثانى على اليمين .

ليندرو : سلفيا . . . سلفيا

سلفيا : ليندرو ، أنت مجروح ؟

ليندرو : لا ؛ ها أنت ترين . . . إنها خدعة ، خدعة أخرى لأتوا بك إلى هنا ، ولكن لا تخافى ، فسيأتى أبوك

عاجلا وستخرجين معه دون أن يقع ما تعاتبينني
عليه ... أوه ولكن لعلك ستعاتبينني حين يغشى
ضباب الخداع هدوء روحك ، ولن يبقى لك حينئذ
سوى ذكرى حلم سيء .

سلفيا : ماذا تقول ياليندرو ؟ ألم يكن حبك حقيقيا !

ليندرو : حبي ، نعم كان حقيقيا ... ولهذا لا يجوز لى أن
أخدعك ؛ أسرعي في الخروج من هنا قبل أن يعرف
أحد من الذين أتوا بك أنك ذهبت .

سلفيا : ماذا تخاف ؟ ألست في أمان وأنا في بيتك ؟ إنى لم أتردد
في المجيء . . . أى خطر يتهددنى وأنا بجنبك ؟

ليندرو : لا خطر ، وقد أحسنت القول ؛ لحبي يحميك من
براءتك نفسها .

سلفيا : لا أستطيع أن أعود إلى بيت أبي بعد عمله الفظيع .

ليندور : لا يا سلفيا . لا تلومى أباك . لم يكن هو . كانت
خدعة أخرى وأكذوبة أخرى . اهربي مني . انسى
هذا المغامر البائس الذى لا اسم له وتتعقبه العدالة .

سلفيا : هل كان سلوك أبي سببا في أن جعلني غير جديرة
بحنانك وعطفك ؛ كذلك كان الأمر ؛ أدرك
ما هنالك . . . ما أشد تعاستي !

ليندرو : سلفيا . سلفيا . ما أقسى كلماتك الحلوة ! وما أقسى هذه
الثقة النبيلة الصادرة من قلبك الذى يجهل الشر والحياة .

المشهد السابع

كرسبين يخرج مسرعاً من الباب الثانى على اليمين

كرسبين : ياسنيور ياسنيور! السنيور بلتشنيلا يصل .

سلفيا : أبى!

ليندرو : لايهم ذلك! فسأسلمك إليه بيدى .

كرسبين : وهو لا يأتى وحده وإنما يأتى ومعه أناس كثيرون ويمثل العدالة معه . . .

ليندرو : آه لو وجدك هنا معى ! لاشك أنك أبلغته . . . ولكن لن تبلغوا غايتكم .

كرسبين : أنا ؟ كلا كلا . . . أخشى أن يصدق الناس ذلك ، وحينئذ لن يستطيع أحد أن ينقذنا .

ليندرو : ينقذنا نحن ، لا ، ولن أسعى إلى ذلك . . . أما هى فنعم . يحسن بك أن تختفى يا سلفيا . ابقى هنا .

سلفيا : وأنت ؟

ليندرو : لاتخافى ، أسرعى قبل أن يصلوا (يخفى سلفيا فى الغرفة التى وراء المسرح ويقول لكرسبين) انظر ما الذى أتى بهؤلاء ، وكل ما أريده منك أن تحرص على ألا يدخل أحد هنا حتى أعود . . . ليس لنا مهرب آخر (يتوجه إلى النافذة) .

كرسبين : (وهو يمسك به) ياسنيور ! لا تقتل نفسك على هذا النحو !

ليندرو : لا أحاول قتل نفسي ، ولا أحاول أن أهرب ، ولكني أريد أن أنقذها ... (يصعد إلى أعلى النافذة ويختفي)

كرسبين : ياسنيور ياسنيور ! لا بأس ! ظننت أنك تحاول أن تلقى بنفسك على الأرض ولكنك صعدت إلى أعلى ... ولا زلنا ننتظر ولا يزال يريد الطيران ... الارتفاع بجاله ، أما أنا فالأرض بجالي ... وليس أنسب الآن من الثبات فيها (يستقر على كرسي بهدوء شديد) .

المشهد الثامن

كرسبين والسنيور بلتشنيلا وصاحب الخان والسنيور بنتلون والكابتن وأرلكين والمحقق العالم والكاتب وحاجبان ، ومعهم دوسيهات ضخمة ، يخرجون جميعا من الباب الثاني أي الممر .

بلتشنيلا : (يتكلم في الداخل إلى أناس المفروض أنهم في الخارج) احرسوا الأبواب حتى لا يخرج أحد رجلا كان أو امرأة ، كلبا كان أو قطة !

صاحب الخان : أين هم ؟ أين هم أولئك اللصوص ، أولئك القتلة ؟

بنتالون : العدالة ! العدالة ! أموالى ! أموالى ! (يخرجون جميعا بناء على إشارة تمطى ، ويتجه المحقق والكاتب إلى المائدة ويستعدان للكتابة ، وعسك الشرطيان بدوسيهات القضية الضخمة وهما واقفان)

الكابتن : ولكن أممكن هذا الذى نراه يا كرسبين ؟

أرلكين : أممكن ما يحدث أمامنا ؟

بنتالون : العدالة ! العدالة ! أموالى ! أموالى

صاحب الخان : فليقبض عليهما . . . ولتمسك العدالة بهما .

بنتالون : حذار أن يهربا . . . حذار أن يهربا !

كرسبين : ولكن ما هذا ؟ كيف يقتحمون مسكن سيد نبيل على هذا النحو ؟ اشكروا الله على غياب سيدى .

بنتالون : اسكت اسكت فأنت شريك له ولابد أن ينزل بك العقاب !

صاحب الخان : شريك له ؟ إنه مجرم كسيده المزعوم ... فهو الذى خدعنى .

الكابتن : ما معنى هذا يا كرسبين ؟

أرلكين : هؤلاء الناس على حق .

بانتشنيلا : ماذا تقول الساعة يا كرسبين ؟ ظننت أن أحايلك. تجدى معى ؟ أحقا أنا الذى أردت أن أغتال سيدك ؟ أحقا أنا عجوز مقتر يضحى بابنته ؟ أحقا ثارت المدينة كلها على وراحت ترمينى بالسباب والشتائم ؟ سترى الآن .

بنتلون : دعيه ياسنيور بلتشنيلا فالأمر يعنينا نحن لأنك لم تفقد شيئا ، أما أنا ... ففقدت كل ثروتى ، أنفقتها من غير ضمان ؟ وسأظل ضائعا مضيعا طول حياتى . ترى ماذا سيكون عليه أمرى ؟

صاحب الخان : وأنا ... قل لى بربك . لقد أنفقت ما لم أملك ، واضطررت إلى أن أرهن ما معى لأخدمهما على الوجه الذى يليق بمكانتهما . إن فى هذا دمارى وهلاكى !

الكابتن : ونحن أيضاً خدعنا خدعة كبرى ، ترى ماذا سيقول الناس عنى وقد وضعت سيفى وبسالتى فى خدمة أحد المغامرين ؟

أرلكين : وأنا الذى نظمت المقطوعة تلو المقطوعة أمدح بها أعظم السادة ؟

بلتشنيلا : خا ، خا ، خا !

بنتلون : بلى . اضحك اضحك ! . . فأنت لم تفقد شيئا .

صاحب الخان : ولم يسرقا منك شيئا . .

نتلون : بسرعة بسرعة ! أين الشيطان الآخر ؟

صاحب الخان : ابحثوا عنه في كل مكان حتى تمسكوا به .

كرسين : على رسلك . فلو تقدمت خطوة واحدة . . (يهدده بالسيف) .

نتلون : ألا تزال تهدد ؟ ولا بد من التعرض لذلك ؟ العدالة ! العدالة !

صاحب الخان : نعم العدالة !

المحقق : أيها السادة . . إذا لم تلتفتوا إلى فلن نظفر بشيء ؛ لا يجوز لأحد أن يأخذ العدالة بيده ؛ فالعدالة ليست تخبطا ولا هي من قبيل الانتقام ؛ والإفراط في العدل إفراط في الظلم ؛ وإنما العدل معرفة ، والمعرفة نظام ، والنظام حكمة ، والحكمة إجراءات ، والإجراءات منطق . كلوا إلى شكاواكم ومنازعاتكم ، فلا بد من أن تضم كلها إلى القضية التي معي .

كرسين : يا للفظاعة . لقد زادت القضية .

المحقق : هنا جرائم أخرى كثيرة ارتكبها هذان ، ولا يعرض أن تضاف إليها المخالفات الجديدة ؛ وبهذه الوسيلة وحدها تنالان ما يرضيكما وتظفران بالعدالة . اكتب يا حضرة الكاتب ، وليقرر الخصوم ما لديهم .

بنتاون : دعنا من هذه الإشكالات ، فنحن نعلم عدالتكم حق العلم .

صاحب الخان : لا يكتب شيء ، فسيكون كله سواد فى بياض . . . ونبقى نحن من غير مال ، وهما من غير قصاص .

بنتاون : كذلك ، كذلك . . أموالى وبعد ذلك العدالة !

المحقق : أيها الأحمقان الجاهلان . أى فكرة لديكما عن العدالة ؟ لا يكفى أن يقال إن ضرراً أصابكما حتى يتضح بصورة جلية أن ثمة نية لإنزال الضرر بكما ؛ ومعنى ذلك غش أو خداع ، وهما أمران مختلفان وإن كان العامة يخلطون بينهما . ولكن اعلما . . . أنه فى بعض الأحوال . . .

بنتاون : يكفى يكفى . يوشك أن تنتهى بقولك إننا المدانون .

المحقق : كما يمكن أن يكون لو أنكما أصررتما على إنكار حقيقة الأشياء .

صاحب الخان : جميل والله . لقد سرقنا . أتريد حقيقة أقوى من هذه وجرما أوضح من هذا ؟

المحقق : تعلمان أن السرقة غير الاختلاس ، كما هى تختلف عن الخداع أو الغش كما قلت من قبل ، ومنذ الألواح الاثنى عشر إلى عهد جستنيان وتربنيان وإمليانه وتزبريان . . .

بنتاون : كل ذلك نتيجته ألا نسترد أموالنا . . . ولكن لن يزحزحنا أحد عن مكاننا هنا .

بلتشنيلا : السنيور المحقق على حق فيما يقول . ثقا فيه ، وكل شيء يقرر في الدعوى .

المحقق : اكتب ، اكتب يا حضرة الكاتب .

كرسبين : أتريدون أن تسمعوا مني كلمة ؟

بنتاون : كلا كلا ، اسكت أيها الشيطان . . . اسكت أيها الوقح .

صاحب الخان : ستتكلم حين يثقل عليك الكلام .

المحقق : سيتكلم حين يطلب إليه ، فلا بد من أن يسمع كل طرف في الدعوى بمقتضى العدالة . . . اكتب اكتب . . . إنه في مدينة . . . كذا . . . لا بأس من المضي أولا في تسجيل كل ما في المنزل .

كرسبين : إنه لا يترك هدنة للقلم . . .

المحقق : وننتقل إلى الإجراءات التي تقضي بأن يودع كل طرف من أطراف الخصومة مبلغاً من المال على ذمة القضية فلا يشك أحد في وفائهم ، ويكفي مبلغ ألفي سكودو عاجلا مع الحجز التحفظي على ممتلكاتهم .

بنتاون : ماذا تقول ؟ نحن ندفع ألفي سكودو !

المحقق : كان يجب أن تكون ثمانية آلاف ، ولكن يكفي إثنان .

أهل للثقة بكما فكله فى الحساب ، وأنا لم أخل بقدر أحد قط . . .

صاحب الخان : حسبك ولا تكتب شيئا بعد ذلك فلا يمكن أن نمر بهذا .

المحقق : كيف ؟ أتمتهن العدالة على هذا النحو ؟ افتح محضرا بدعوى مستقلة تتعلق باستعمال العنف ورفع اليد والانفعال بالغضب على موظف من موظفى العدالة أثناء مباشرته عمله .

بتناون : هذا الرجل يريد أن يقضى علينا !

صاحب الخان : إنه مجنون !

المحقق : تقولان رجلا وأحمق ؟ تكلما باحترام . اكتب وأيضا إساءة بالقول . .

كرسبين : خير لكم أن تصغوا إلى .

بتناون : تكلم تكلم . فأى شىء خير مما نحن فيه على ما يبدو .

كرسبين : امنعوا هذا الرجل من الكتابة وإلا أقام من أوراقه جبلا . . .

بتناون : كفى . قلنا كفى .

صاحب الخان : اترك القلم . . .

المحقق : لن يجرؤ أحد على أن يضع يده فى شىء .

كرسبين : يا سنيور كابتن . انفعنا بسيفك فهو أيضاً أداة من أدوات العدالة .

الكابتن : (يمضى إلى المائدة ويضرب بالسيف ضربة قوية فى الأوراق التى يكتبها المحقق) نرجوك ألا تكتب شيئاً آخر .

المحقق : ينبغى لك أن تطلب المعقول من الأمور ، وقبل وقف الإجراءات هنالك مسألة لا بد من إيضاحها . . . فليتكلم أطراف الخصومة فيما يتهم . . . هذا حسن ومع هذا فلنمض أثناء ذلك فى تسجيل الأثاث . . .

بنتاون : كلا كلا .

المحقق : إنها إجراءات لابد منها .

كرسبين : ستكتب حين يتحتم ذلك . دعنى الآن أتكلم على انفراد مع هذين السيدين الفاضلين .

المحقق : إذا رأيت أن تنال منهما بيانا بكل ما هاهنا فافعل .

كرسبين : كلا كلا لا يكتب حرف بعد هذا وإلا فلن أتكلم .

الكابتن : دع الفتى يتكلم .

كرسبين : وماذا أقول لكما ؟ مم تشكوان ؟ من أنكما فقدتما أموالكما ؟ ماذا تريدان ؟ استرداد هذه الأموال ؟

بنتاون : هذا هو ! أموالى !

صاحب الخان : أموالنا !

كرسبين : إذاً فأصغيا إلى . . . من أين لكما الأموال إذا كنتما

تريدان أن تجردا سيدى من الثقة فيه ، وعلى هذا
سيستحيل عليه أن يتزوج ابنة السنيور بلتشنيلا ؟
أقسم بالله . . . أنى كنت دائما أود أن أعامل الشياطين
واللصوص ولا أعامل الحمق ! انظرا ماذا فعلتما
وكيف تعالج العدالة الموقف علاجا هو بين بين .
ماذا تجنيان من وراء إلقائنا فى السجن أو ما هو شر
منه ؟ وهل آثار السياط التى تلهب جلودنا نقود جيدة
تقبضونها ؟ أفى هلا كنا غنى لكما كثير وفضل وفير ؟
هذا وعلى العكس من ذلك إذا لم تقفا فى طريقنا ،
حينئذ تستردان أموالكما مع فوائدها جميعا . . .
وإن كانت الفوائد وحدها كفيلة بحملكما إلى المشنقة
لولا أن العدالة استقرت فى هذه الأيدى
والأقلام . . . افعلا الآن ما يروقكما ، فقد قلت
ما ينبغى أن يقال . . .

المحقق : لقد جدا .

الكابتن : لم أكن أظن أن كرسبين وسيده على هذا النحو من الشيطنة .

بلتشنيلا : كرسبين هذا ! . . كفيل بأن يقنعكما . . .

بنتلون : (يتحدث إلى صاحب الخان) ما تقول فى هذا ؟ رأى لا بأس به . . .

صاحب الخان : وما تقول أنت ؟

بنتاون : تقول إنه كان مقررا أن يتزوج اليوم سيدك ابنة السنيور بلتشنيلا . . . وما العمل إذا لم يوافق ؟ . . .

كرسبين : لن يجدية ذلك فقد هربت ابنته مع سيدى . . . والعالم كله يعرف ذلك . . . والسنيور بلتشنيلا يعنيه أكثر مما يعنى أى شخص آخر ألا يعلم أحد أن ابنته أصبح لا يعرف مصيرها مع رجل طريد تتعقبه العدالة .

بنتاون : إذا كان الأمر كذلك . . . فما تقول أنت ؟

صاحب الخان : نحن لا نريد أن نتهاون . وهذا « الفرود » أستاذ فى الحيلة والمكر .

بنتاون : حقا ما قلت ، فلا أدرى كيف أمكننى أن أصدقه . العدالة العدالة !

كرسبين : لا تنسيا أنكما ستفقدان كل شىء !

بنتاون : لنتدبر الأمر . . . كلمة ياسنيور بلتشنيلا .

بلتشنيلا : ماذا تريدون منى ؟

بنتاون : افرض أنه لاحق لنا فى أن نشكو . وافرض أن السنيور ليندرو كان أشرف إنسان ، لا تطاوعه نفسه على أن يرتكب عملا وضيعا . . .

بلتشنيلا : ماذا تقول ؟ !

بنتاون : وافرض أن ابنتك تحبه إلى حد الجنون حتى لقد هربت معه من منزلك .

بلتشنيلا : ابنتي هربت من منزلي ومع هذا الرجل ؟ من قال هذا ؟ من هذا الوقح ؟ . . .

بنتاون : لا تغضب ، كل ما نقوله افتراضات .

بلتشنيلا : وحتى لو كان على هذا النحو لما قبلته ولما تساهلت فيه .

بنتاون : اسمع فى صبر ما أقول ؛ افرض أن هذا كله حدث . ألا ستضطر حينئذ إلى تزويجها ؟

بلتشنيلا : تزويجها ؟ كنت أقتلها قبل أن أزوجها . ولكن التفكير فى هذا جنون ؛ وقد أدركت الآن أن هذا هو ما تريدانه لتستردا أموالكما على حسابى ، فأنتما أيضاً من الصعاليك ولكن ذلك لن يكون ، لن يكون . . .

بنتاون . فكر فيما تقول ، ولا يجوز الحديث هنا عن الصعاليك وأنت حاضر .

صاحب الخان: فعــــلا !

بلتشنيلا . صعاليك ! صعاليك ! تواطأتما على سرقتى ، ولكن لن يكون ذلك ، لن يكون .

المحقق . ألا تعلم ياسنيور بلتشنيلا أنه حتى لو تنازلا عن دعواهما فهذه القضية قائمة ؟ أتظن أنه يمكن أن يمحى

منها شيء وهي تشتمل على اثنتين وخمسين جريمة ثابتة ، وأخرى غيرها لاتحتاج إلى إثبات ؟ . . .

بنتلون : ما تقول الآن يا كرسبين ؟

كرسبين : أقول إن هـذه الجرائم لو كانت كثيرة كما ذكر فهي كغيرها ، أموال ضائعة لايمكن تسديدها مادمنا لا نملك شيئا .

المحقق : أما هذا فلا ، إذ لابد من استيفاء الحق المقرر لي بأي حال من الأحوال .

كرسبين : فليكن من المدعين ، أما نحن فشاق علينا جـدا إذ ستؤديه من أشخاصنا .

المحقق : إن حقوق العدالة مقدسة ، وأول ما ينبغي القيام به توقيع الحجز على كل ما في هذا المنزل .

بنتلون : كيف ذلك ؟ إن ما في المنزل سيكون لاستيفاء بعض حق . .

صاحب الخان: طبعا ، وإلا . . .

المحقق : اكتب اكتب ، فإذا تكلموا جميعا فلن نصل إلى نتيجة .

بنتلون وصاحب الخان : كلا كلا ! —

كرسبين : اسمع مني ياحضرة المحقق . وإن سددت لك دون حاجة إلى كتابة كثيرة مالك من . . . كيف تسميها ؟ أجور ؟

المحقق : رســـــوم

كرسبين : كما تريد ، فما رأيك ؟

المحقق : فى هذه الحالة . . .

كرسبين : إذاً فاعلم أن سيدى يمكن أن يصير اليوم غنيا ذا جاه إن وافق السنيور بلتشنيلا على أن يزوجه ابنته ، واعلم أن هذه الفتاة هى البنت الوحيدة للسنيور بلتشنيلا ، واعلم أن سيدى سيصبح مالكا لكل هذا ، واعلم . . .

المحقق : يمكن ، يمكن بحث هذا .

صاحب الخان : ماذا تقرر ؟

المحقق : دعونى أفكر . ليس الفتى غبيا ، ويبدو أنه ليس جاهلا بالإجراءات القانونية ؛ وإذا ذكرنا أن الضرر الذى وقع عليكما مادى محض وأن كل جريمة يكون علاجها من نفس طبيعتها تنطوى بمقتضى هذا العلاج على أعدل قصاص ؛ وإذا ذكرنا أن القانون البدائى الأولى قد قرر أن العين بالعين والسن بالسن ، ولم يكن فيما قرره أن السن بالعين والعين بالسن . . . وإذاً يمكن أن يقال فى هذه الحالة سكودو بسكودو ؛ وهو أولا وأخيراً لم ينتزع منكما الحياة حتى تطلبا حياته ثمنا لها ، ولم يسىء إليكما فى أشخاصكما ولا فى شرفكما ولا فى

سمعتكما حتى تطلبا منه كل شيء ؛ فالمساواة هى العدل الأسمى ، ومنذ تشريعات جستنيان إلى تربونيان مع إمليان تربونيان . . .

بنتاون : حسبك . لا تقل أكثر من هذا ؛ إذا أدى لنا . . .

صاحب الخان : ما دام سيؤدى لنا . . .

بلتشنيلا : ما هذه الحماقات ؟ وكيف يؤدى ؟ وماذا تبحثون ؟ . . .

كرسبين : المسألة هى أن من مصلحتكم جميعا إنقاذ سيدى ؛ وإنقاذنا فيه مصلحة للجميع ، مصلحتكما أنتما ألا تضيع عليكما أموالكما ، والسنيور المحقق ألا تضيع عليه خلاصة تلك الفلسفة العجيبة التى امتلأ بها هذا الجراب . . . جراب معرفته ؛ والسنيور الكابتن لكيلا تروج الإشاعات بأنه كان صديقا لمغامر ؛ وأما أنت يا سنيور أرلكين فتى لا تفقد مقطوعاتك الشعرية مالها من قيمة إذا عرف أنك نظمتها فيمن ليس أهلا لها ، وأما أنت ياسنيور بلتشنيلا . . . أيها الصديق الكريم ، فلأن ابنتك أصبحت الآن أمام الله وأمام الناس زوجة السنيور ليندرو .

بلتشنيلا : كذاب كذاب ! وقح صفيق !

كرسبين : امض إذاً فى تسجيل ما فى المنزل . اكتب ! اكتب

وليكن هؤلاء السادة جميعا شهودا ، وابدأ بهذه الغرفة .

(يطوى بساط باب الغرفة الخلفية ، وتظهر جماعة مؤلفة من سلفيا وليندرو وسنيورا سرينا وكلبينا وسنيورا بلتشنيلا) .

المشهد الأخير

سلفيا وليندرو ودنيا سرينا وكلبينا وسنيورا بلتشنيلا يخرجن من الغرفة الخلفية .

بنتاون وصاحب الخان : سلفيا !

الكابتن وأرلكين : معاً ! الاثنان معا !

بلتشنيلا : إذاً كانت حقيقة ؟ كلكم على ! وزوجتى وابنتى معهم! كلهم متواطئون على سرقتى ! اقبضوا على هذا الرجل وهؤلاء النسوة ، وهذا الكذاب وعلىّ أنا . . . !

بنتاون : أمجنون أنت يا سنيور بلتشنيلا ؟

ليندرو : (يهبط إلى مقدمة المسرح مع الباقين) ابنتك جاءت إلى هنا لأنها ظنت أنى أصبت بجرح شديد ، وكان معها دنيا سرينا ، فأسرعت أنا نفسى فى الحال إلى زوجتك لتكون معها ؛ سلفيا تعلم من أنا وتعلم كل ما فى حياتى من بؤس وخداع ووضاعة ، وأنا على يقين من أنه لم يبق فى قلبها شيء من أحلام حبنا . . . اذهب بها من هنا ، اذهب بها ؛ أطلب إليك ذلك قبل أن أسلم نفسى للعدالة .

بلتشنيلا : إن عقاب ابنتي من شأنى أنا ؛ أما أنت . . . اقبضوا عليه . أقول اقبضوا عليه !

سلفيا : يا أبي ، إذا لم تنقذه فسيكون فى ذلك موتى ، إنى أحبه أحبه دائما ؛ وأحبه الآن أكثر من أى وقت مضى ، لأن قلبه كريم مفعم بالأسى ، وكان يمكنه أن يجعل منى ملكا له متوسلا بالكذب ، ولكنه لم يكذب .

بلتشنيلا . اسكتى ، اسكتى أيتها الحمقاء الوقحة ! هذا هو تعليم أمك . . . وغرورها وخيالاتها ، وهذه هى نتيجة المطالعات الشعرية والموسيقى فى ضوء القمر .

سنيورا بلتشنيلا : كل ذلك خير من أن تتزوج ابنتى رجلا مثلك لتكون بائسة كأمها . فيم أفادنى الغنى ؟

سرينا : صدقت ياسنيورا بلتشنيلا . فيم يفيد الغنى بدون حب ؟

كلبينا : مثل ذلك يقول عن الحب بدون غنى .

المحقق : ليس هناك ياسنيور بلتشنيلا خير لك من أن تزوجها .

بنتلون : لا تنس أن ذلك سيعرف فى المدينة .

صاحب الخان : ولا تنس أن الناس كلهم سيجمعون على هذا الرأى .

الكابتن : ونحن لا نوافق على استخدام العنف مع ابنتك .

المحقق : ولا بد من أن نذكر فى الدعوى أنها وجدت هنا معه .

كرسبين : وليس فى سيدى عيب سوى أنه يعوزه المال ، أما فى النبل فلا يفضله أحد . . . وسيكون أحفادك سادة نبلاء . . . إذا لم يخرجوا للجد . . .

الجميع : زوجها ، زوجها .

بنتلون . وإلا هجمنا كلنا عليك .

صاحب الخان : ويشتهر حديثك بين الناس . . .

أرلكين : ولن تربح شيئا . . .

سرينا : وتتوسل إليك سيدة حرك مشاعرها هذا الحب الغريب فى هذا الزمان .

كلبينا : الذى يشبه قصة .

الجميع : زوجها ! زوجها !

بلتشنيلا : تزوجا فى أتعس ساعة . ولكن ابنتى لن يكون لها مهر ، وستظل من غير ميراث . . . وخير لى أن أقضى على كل ثروتى قبل أن يأتى هذا الشيطان فـ . . .

المحقق : هذا ما لن تفعله يا سنيور بلتشنيلا .

بنتلون : ما هذه الحماقات ؟

صاحب الخان : وإلا فماذا سيقال ؟

الكابتن : لن نوافق على ذلك .

سلفيا : لا يا أبى . أنا نفسى لا أقبل شيئا ، أنا نفسى أريد أن أشاركه مصيره ، وعلى هذا أحبه .

ليندور : على هذا فقط أقبل حبك . . . (الكل يسرعون إلى سلفيا وليندرو)

المحقق : ماذا يقولان ؟ هل جن جنونهما ؟

بنتلون : هذا ما لا يمكن أن يكون !

صاحب الخان : تقبلان كل شيء !

أرلكين : وترفلان فى حلل السعادة والغنى .

سنيورا بلتشنيلا : ابنتى يكتب عليها البؤس ! إن هذا الرجل جلاد !

سرينا : والحب طفل رقيق لا يقوى على مقاومة الحرمان الشديد .

المحقق : لا يمكن ! يجب أن يوقع السنيور بلتشنيلا هنا على هبة كبيرة تليق بمقام رجل مثله ، وتليق بأب شديد الحب لابنته . اكتب اكتب يا حضرة الكاتب فهذا ما لا يستطيع أحد أن يعارض فيه .

الجميع : (مأعدا بلتشنيلا) اكتب اكتب .

المحقق : وأنتما أيها العاشقان . . . ارضيا بهذا الغنى ، فلا يليق الإفراط والزهد الذى لا يحمدكما أحد عليه .

بنتلون : (يتحدث إلى كرسبين) هل سنقبض ؟

كرسبين : من يشك فى هذا ؟ ولكن لا بد من أن تعلنوا على

الملأ أن السنيور ليندرو لم يخدعكما قط . . . انظرا
كيف يضحي في سبيل إرضائكما بأن يقبل هذا الغني
الذي تنفر منه مشاعره . . .

بنتلون : كنا نؤمن دائما بأنه سيد نبيل .

صاحب الخان : دائما .

أرلكين : كلنا نؤمن بذلك .

كرسبين : والآن يا حضرة المحقق ما شأن هذه القضية ؟
أفي الأرض تراب يكفي لإلقائه فوقها ؟

المحقق : إني أقدر لكل موقف علاجا ، ويكفي في شأنها
استخدام الفاصلة كما ينبغي ، ونقلها من موضع إلى
آخر في الجمل ، لتخرج العبارة صريحة في نفي التهمة .

كرسبين : أوه يا لها من فاصلة عجيبة ! عبقرية العدالة ! وآية
القانون ومعجزة الفقه ! . . .

المحقق : والآن ثق في عظمة سيدك .

كرسبين : لا تهتم ، فليس هناك من يعرف خيراً منك كيف يغير
المال الإنسان .

الكاتب : أنا الذي وضعت الفواصل وحذفتها .

كرسبين : خذ هذه السلسلة وهي من ذهب . . . إلى أن تنال
ما هو أعظم .

بلتشيلا : أريد شرطاً واحداً هو أن ينفصل هذا الشيطان عنك إلى الأبد ، ولا يكون فى خدمتك .

كرسبين : لا داعى لأن تطلب هذا الشرط يا سنيور بلتشيلا . أتظن أنى فقير فى الأطماع كسيدى ؟

ليندرو : أتريد أن تتركنى يا كرسبين ؟ ستخلف وراءك حزناً فى قلبى .

كرسبين : لا لن أخلف حزنا ، فلن أنفعك بشىء ، وستنزع عن نفسك بعدى جلد الرجل العجوز . ماذا قلت لك يا سنيور ؟ قلت إنه لا بد من أن ننقذ أنفسنا مع الجميع . . . آمن بذلك : إنه لأجدى على المرء فى سبيل الظفر بكل شىء أن يخلق المصالح من أن يخلق الحب .

ليندرو : أنت مخدوع ، فلولا حب سلفيا لما نجوت .

كرسبين : وهل هذا الحب مصلحة هينة ؟ لقد جعلته دائماً المثل الأعلى واعتمدت عليه ، والآن انتهت المهزلة .

سلفيا : (تخاطب الجمهور) وفيها رأيتم — كما ترون فى مهازل الحياة — أن هذه الدمى ، شأنها فى ذلك شأن الدمى البشرية ، تحركها خيوط غليظة هى المصالح والأهواء ومظاهر الخداع وما يماثلها من المآسى ، تجذب بعضها

من الأقدام وتفضى بها إلى تصرفات حزينة ، وتجذب الأخرى من الأيدى التى تعمل فى ألم ، وتناضل فى شقاء ، وتسلب فى براعة ، وتقتل فى عنف ؛ ولكن ربما هبط بينها من السماء إلى القلب خيط دقيق كأنه غزل من ضياء الشمس ، هو خيط الحب يبدو للبشر ، كما يبدو لهذه الدمى التى تشبه البشر ، وكأنه شيء إلهى يحمل أضواء الفجر إلى جباهنا ، ويجعل أجنحة فى قلوبنا ويقول لنا : ليس كل ما فى المهزلة مهزلة وإنما هنالك شيء إلهى فى حياتنا حق خالد لا ينتهى حين تنتهى المهزلة .

نهاية الكوميديا .



* تكوين مكتبة عربية متكاملة ، يجد القارىء العربي فيها كل ما هو بحاجة اليه من المعلومات فى شتى الموضوعات ، معروضة عرضا سهلا ، يتقبله القارىء العادى ، ويجد فيه المتخصص الحقائق والنظريات والآراء مبسوطة بغاية الدقة ، متمشية مع آخر ما وصل اليه العلم فى تلك الموضوعات .
* نشر هذه المكتبة فى أوسع نطاق ممكن ، وذلك بتخفيض السعر قدر الامكان ، وإشراك أكبر عدد من الناشرين فى نشرها .
* النهوض بالكتاب العربى من حيث الشكل والموضوع .
* تشجيع عادة اقتناء الكتب وقراءتها .
* الافادة بصورة عملية من جهود العلماء والادباء فى شتى الامم ، باتاحة الفرصة أمام القارىء العربى للاطلاع الواسع على ما عندهم .
* افساح المجال أمام الشباب الطامح الى الاشتغال بالعلم والادب للمساهمة بصورة ايجابية فى النهضة العلمية والادبية .
* تشجيع الناشرين فى مصر والدول الشقيقة على الاقبال على نشر كتب العلم والثقافة العالية ، وتعويضهم تعويضا مجزيا .
* تجديد النشاط الفكرى فى العالم العربى عن طريق الكتب القيمة التى تحمل اليه العلم والمعرفة .

